

## الشعر والسحر Poetry and Magic

د. مجد وهابي\*

المركز الجهوي لمهن التربية والتكوين - فاس (المغرب) ouhmed@hotmail.com

تاريخ الاستلام: 2025/07/25 تاريخ القبول: 2025/07/31 تاريخ النشر: 2025/07/31

### Abstract:

This study explores the relationship between poetry and magic through two main elements that form a common ground between them: "imagination" and "influence." This relationship is traced through many examples of Arabic poetry, both ancient and modern, across various poetic themes. In all cases, poets have proven that their imagination can create a tremor through words, and thus leave a positive or negative imprint, transforming souls from one state to another, just as reality transforms from one image to another.

**Keywords:** poetry; magic; imagination; influence.

### ملخص البحث:

تعالج هذه الدراسة علاقة الشعر بالسحر من خلال عنصرين رئيسيين يشكلان قاسما مشتركا بينهما، وهما: "التخيل" و"التأثير". وقد رصدنا هذه العلاقة في نماذج كثيرة من الشعر العربي، قديما وحديثا، وفي موضوعات شعرية مختلفة. وفي كل الأحوال أثبت الشعراء أنهم يستطيعون بتخيلاتهم إحداث زلزال بالكلمات، فيترتب على ذلك أن يتركوا أثرا إيجابيا أو سلبيا، تتغير فيه النفوس من حالة إلى حالة، كما يتغير فيه الواقع من صورة إلى أخرى.

**الكلمات المفتاحية:** الشعر؛ السحر؛ التخيل؛ التأثير.

كيف يستطيع الشعر امتلاك سلطة السحر؟ بل، كيف يستطيع الشعر أن يصير، بالفعل، ضرباً من ضروب السحر، فيه ما في هذا الأخير من خفاء الحيلة، وجمال الدهشة، وقوة التأثير؟ هذا ما سنتناوله في هذا المقال الذي اخترنا له عنوان: "الشعر والسحر".

## 1. مفهوم السحر

يقول الراغب الأصفهاني في تعريفه للسحر: «والسحر يقال على معانٍ: الأول الخداع وتخيلات لا حقيقة لها نحو ما يفعله المشعبد بصرف الأبصار عما يفعله لخفة يدٍ، وما يفعله النمام بقول مزخرف عائق للأسماع، وعلى ذلك قوله تعالى: ﴿سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ﴾ [الأعراف: 116]، وقال: ﴿يُخَيِّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ﴾ [طه: 66]. وبهذا النظر سمو موسى عليه السلام ساحراً فقالوا: ﴿يَا أَيُّهَا السَّاحِرُ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ﴾ [الزخرف: 49]...»<sup>(1)</sup>.

وفي هذا المعنى يقول ابن منظور كذلك: «قال الأزهري: وأصل السحر صرف الشيء عن حقيقته إلى غيره، فكأن الساحر لما أرى الباطل في صورة الحق، وخَيَّلَ الشيء على غير حقيقته. قد سحر الشيء عن وجهه، أي صرفه.»<sup>(2)</sup>

ويقول القرطبي: «السحر قيل: أصله التمويه بالحيل والتخايل، وهو أن يفعل الساحر أشياء ومعاني؛ فَيُخَيِّلُ للمسحور أنها بخلاف ما هي به؛ كالذي يرى السراب من بعيد فَيُخَيِّلُ إليه أنه ماء، (...) وقيل: هو مشتق من سحرت الصبي إذا خدعته؛ والتسحير مثله؛ قال لبيد:

فَإِنْ تَسْأَلِينَا فِيمَ نَحْنُ فَإِنَّا عَصَافِيرُ مِنْ هَذَا الْأَنَامِ الْمُسَحَّرِ»<sup>(3)</sup>.

أما الرازي فقد لخص هذه المعاني كلها، وعرف السحر بقوله: «اعلم أن لفظ السحر في عرف الشرع مختص بكل أمر يَخْفَى سببه، ويُتَخَيَّلُ على غير حقيقته، ويجري مجرى التمويه والخداع»<sup>(4)</sup>.

وتأسيساً على هذه التعريفات، يمكن صياغة تعريف تركيبى للسحر، وفيه نقول: السحر ممارسة خفية تقوم على التخيل والتمويه والخداع وزخرفة القول، وذلك لصرف الشيء عن غير حقيقته إلى غيره، سواء من خلال فعل يدوي يفتن العين، أو من خلال فعل قولي يفتن السمع.

## 2. مفهوم الشعر

"الشَّعْرُ". لغةً. اسم مشتق من فعل: «شَعَرَ يَشْعُرُ شِعْراً، بمعنى: عَلِمَ، يَعْلَمُ، عَلِماً. وَلَيْتَ شِعْري، أي: لَيْتَ عَلَمي، أو لَيْتَنِي عَلِمْتُ. (...) وَأَشْعَرُهُ الْأَمْرَ وَأَشْعَرُهُ بِهِ: أَعْلَمُهُ إِيَّاهُ، وفي التنزيل: ﴿وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾، أي: وما يُدْرِكُكُمْ. وَأَشْعَرْتُ بِهِ: أَطْلَعْتُ عَلَيْهِ»<sup>(5)</sup>. وَشَعَرَ بِهِ: عَلِمَ بِهِ، وَفَطِنَ لَهُ، وَعَقَلَهُ. (...) وَشَعْرُهُ أَجَادُهُ، وهو شَاعِرٌ من شعراء<sup>(6)</sup>. وقالوا: «شَعْرٌ شَاعِرٌ: جَيْدٌ، قال سيبويه: أرادوا به المبالغة والإجادة»<sup>(7)</sup>.

«والشَّعْرُ، بالكسر، (...) هو، كَالْعِلْمِ وزناً ومعنى، وقيل: هو العلم بدقائق الأمور، وقيل: هو الإدراك بالحواس، وبالأخير فُسِّرَ قوله تعالى: ﴿وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾»<sup>(8)</sup>، ويذهب البعض إلى أن «الشعر في الأصل اسم للعِلْمِ الدقيق، (...)، وصار في التعارف اسماً للموزون المقفى من الكلام، والشاعرُ للمختصِّ بصناعته»<sup>(9)</sup>. وقال الأزهري: «الشَّعْرُ: القريضُ المحدودُ بعلاماتٍ لا يجاوزها والجمع أشعار، وقائله شاعر لأنه يشعر بما لا يشعر به غيره، أي يعلم»<sup>(10)</sup>.

والشَّعْرُ، كذلك، «كلام موزون مقفى قصداً يعتمد على التخيل والتأثير؛ ليوحي بإحساسات مؤثرة وصور خيالية، ومنه قول الشاعر:

وَمَا الشَّعْرُ إِلَّا شُعُورٌ الْمَرْءُ يُرْسِلُهُ عَفْوُ الْبَدِيَّةِ عَنْ صِدْقٍ وَإِيمَانٍ<sup>(11)</sup>

وإذا ما حاولنا تجميع ما تناثر من آراء في المعاجم اللغوية السابقة، يمكن أن نصوغ للشعر تعريفا مركبا فنقول: الشعر هو الكلام الجيد الذي يعبر عن أحاسيس صاحبه، في قالب موزون مقفى، وبواسطة صور خيالية، وذلك بهدف التأثير في المتلقي.

وعلى هذا الأساس، فإن المعاجم العربية استحضرت ثلاثة عناصر في تعريفها للشعر، هي: النص بصفته كلاما قائماً على التجويد اللغوي، والمبدع بصفته معبرا عن أحاسيسه ومشاعره من خلال الشعر، والمتلقي بصفته مُسْتَهْدَفاً بالرسالة الشعرية عن طريق التأثير.

وللتمييز بين الشعر وغيره، يسوق قدامة بن جعفر تعريفا للشعر يقول فيه: «إنه قول موزون مقفى يدل على معنى»<sup>(12)</sup>. وبهذا فهو يشترط أربعة أركان في بنية الشعر هي: القول، والوزن، والقافية، والمعنى. ولا شك أن الدلالة على المعنى ليست ضرورية عند بعض النقاد، ومنهم الجاحظ الذي يقول: «والمعاني مطروحة في الطريق يعرفها العجبي والعربي، والبدوي والقروي...»<sup>(13)</sup>.

وقد حاول نقاد آخرون صقل هذا التعريف باستحضار عنصر خامس هو "نية القائل"، من ذلك قول ابن رشيق: «الشعر يقوم من بعد النية من أربعة أشياء، وهي: اللفظ، والمعنى، والوزن، والقافية؛ فهذا هو حد الشعر؛ لأن من الكلام موزونا مقفى، وليس بشعر، لعدم القصد والنية، كأشياء اتزنت من القرآن، ومن كلام النبي ﷺ، وغير ذلك مما لم يطلق عليه بأنه شعر»<sup>(14)</sup>.

والواضح، أيضا، من هذا الكلام، أن النية ليست محددا واضحا، ولا معيارا علميا لمعرفة الشعر، ذلك أنه إذا افترضنا. جدلا. أن الشاعر قد استحضر النية في قول الشعر، فما يُدْرِي القارئ أو الدارس بهذا الأمر؟ ولهذا ينبغي البحث عن محددات أخرى تقرّبنا من مفهوم الشعر.

يقول ابن طباطبا العلوي: «الشعر. أسعدك الله. كلام منظوم، بائن عن المنثور الذي يستعمله الناس في مخاطباتهم، بما خُصَّ به من النظم الذي إن عدل عن جهته مجته الأسماع، وفسد على الذوق. ونظمه معلوم محدود، فمن صح طبعه وذوقه لم يحتج إلى الاستعانة على نظم الشعر بالعروض التي هي ميزانه، ومن اضطرب عليه الذوق لم يستغن من تصحيحه وتقويمه بمعرفة العروض والحدق به»<sup>(15)</sup>.

فابن طباطبا يميز بين الشعر والنثر على أساس الوزن، وذلك وفقا لقواعد معلومة يوظفها علم العروض. وبهذا، فالكلام الموزون عنده هو الذي يجعل القارئ منجذبا إلى الشعر، ولكن بشرط أن يكون هذا العمل صادرا عن طبع صحيح وذوق سليم. وهنا يقحم الناقد معيارا مجردا لا يمكن ضبطه، وهو "الذوق"، كما أنه يضع نظرية الشعر في إطار قضية كبرى هي قضية "الطبع والصنعة".

وبالانتقال إلى مفهوم الشعر عند الفلاسفة المسلمين، نجد أنه زاد اتساعا وانكشافا، وذلك بفعل تأثير الثقافة اليونانية في آرائهم، وخاصة شعرية أرسطو، ومن هؤلاء الفلاسفة ابن سينا الذي عرّف الشعر بأنه «كلام مخيل مؤلف من أقوال موزونة متساوية، وعند العرب مقفاة»<sup>(16)</sup>.

وبهذا أضاف ابن سينا إلى العناصر السابقة عنصر "التخييل"، بل الأكثر من ذلك، فإنه منح الأولوية لهذا العنصر قبل الوزن والقافية.

ولا شك أن التخييل، بهذه الصفة، هو أقرب عنصر إلى الشعر، وذلك من خلال انعكاسه النفسي على المتلقي،

تارة بالانبساط، وتارة بالانقباض، دون أن تكون للعقل قدرة على تفسير هذا الشعور.

### 3. السّحر في الشّعر

تندرج العلاقة بين الشعر والسحر في مفهوم خاص يسمى "السحر الكلامي" أو "سحر البيان"؛ أي ما يصير به الشعر سحرا. والمقصود بالسحر الكلامي: «غرابتة ولطافته المؤثرة في القلوب المحولة إياها من حال إلى حال كالسحر»<sup>(17)</sup>، ومنه قول الرسول (ﷺ): «إِنَّ مِنَ الْبَيَانِ لَسِحْرًا»، ومعناه عند الميداني، في "مجمع الأمثال"، «أن بعض البيان يعمل عمل السحر، ومعنى السحر: إظهار الباطل في صورة الحق، والبيان: اجتماع الفصاحة والبلاغة وذكاء القلب مع اللّسن. وإنما شبه بالسحر لحدة عمله في سامعه وسرعة قبول القلب له»<sup>(18)</sup>. أما الفيروز آبادي فيشرحه، في قاموسه، بقوله: «معناه . والله أعلم . أنه: يمدح الإنسان فَيَصْدُقُ فيه حتى يصرف قلوب السامعين إليه، ويذمه فَيَصْدُقُ فيه حتى يصرف قلوبهم أيضا عنه»<sup>(19)</sup>.

ويتحقق "السحر الكلامي"، في الشعر، من خلال مفهوم رأينا سابقا أنه يشكل قاسما مشتركا بين السحر والشعر، ونعني بذلك مفهوم "التخييل". ويشرح ابن سينا هذا المفهوم بقوله: «والمُخَيَّلُ هو الكلام الذي تدعن له النفس فتنبسط عن أمور وتنقبض عن أمور من غير روية وفكر واختيار، وبالجملّة تنفعل له انفعالا نفسانيا غير فكري، سواء كان المقول مُصَدِّقًا به أو غير مُصَدِّقٍ»<sup>(20)</sup>.

ولا شك أن الكلام المخيل يجرنا إلى قضية "الصدق والكذب"، وللفيلسوف الفارابي، في هذه المسألة، تقسيم يقول فيه: «إن الأقاويل إما أن تكون صادقة لا محالة بالكل، وإما أن تكون كاذبة لا محالة بالكل، وإما أن تكون صادقة بالأكثر كاذبة بالأقل، وإما عكس ذلك، وإما أن تكون متساوية الصدق والكذب. فالصادقة بالكل هي البرهانية، والصادقة بالبعض على الأكثر فهي الجدلية، والصادقة بالمساواة فهي الخطبية، والصادقة في البعض على الأقل فهي السوفسطائية، والكاذبة بالكل لا محالة فهي الشعرية»<sup>(21)</sup>. ويعلل ابن سينا شعرية التخييل، من خلال الكذب، بقوله: «ولكن الناس أطوع للتخييل منهم للتصديق، وكثير منهم إذا سمع التصديقات هرب منها»<sup>(22)</sup>.

ويبدو أن النقاد العرب القدامى وجدوا ضالّتهم في "التخييل"، وهذا واضح عند حازم القرطاجني الذي لا يخفى تأثره بأرسطو، بحيث يرى أن حسن التخييل «من شأنه أن يحبب إلى النفس ما قصد تحبيبه إليها، ويكره إليها ما قصد تكريمه، لتحمل بذلك على طلبه أو الهرب منه»<sup>(23)</sup>، كما يرى أن «أفضل الشعر ما حسنت محاكاته (...)، وقامت غرابته»<sup>(24)</sup>. وهذا فهو يربط المحاكاة والتخييل بالغربة، مؤكدا أن «الاستغراب والتعجب حركة للنفس إذا اقترنت بحركتها الخيالية قوي انفعالها وتأثيرها»<sup>(25)</sup>. ثم يشير، بعد ذلك، إلى أن «فنون الإغراب والتعجب في المحاكاة كثيرة. وبعضها أقوى من بعض وأشد استيلاء على النفوس وتمكنا من القلوب»<sup>(26)</sup>، والفضل، في ذلك، «يرجع إلى الشاعر وشدة تَحْيُلِهِ في إيقاع الدُّلْسَةِ للنفس في الكلام. فأما أن يكون ذلك شيئا يرجع إلى ذات الكلام فلا»<sup>(27)</sup>.

ونجد ربطا صريحا وواضحا بين الشعر والسحر عند الوشاح الأندلسي لسان الدين بن الخطيب، وفيه يقول: «ولما كان السحر قوة ظهرت للنفوس أفعالها، واختلفت بحسب الوارد أحوالها، فترى لها في صورة الحقيقة خيالها، ويبتدي في هيئة الواجب محالها، وكان الشعر يملك مقادتها، ويغلب عاداتها، وينقل هيئتها، ويسهل بعد

الاستصعاب خَبِيْثًا، ويحملها في قده على الشيء وضده، حتى تفتن لهذا المعنى من يعني من سر الكلام بما يعني فقال (من البسيط):

فِي زُخْرَفِ الْقَوْلِ تَزِينٌ لِبَاطِلِهِ وَالْحَقُّ قَدْ يَعْتَرِيهِ سُوءُ تَعْبِيرِ  
تَقُولُ هَذَا مُجَاغُ النَّحْلِ تَمْدَحُهُ وَإِنْ دَمَمْتَ فَقُلْ فِيءُ الزَّنَابِيرِ  
مَدْحٌ وَذَمٌّ وَعَيْنُ الشَّيْءِ وَاحِدَةٌ إِنَّ الْبَيَانَ يُرِي الظَّلْمَاءَ كَالنُّورِ

وإذا عَضِدَ بما يناسبه، وتفضي إليه مذاهبه، وقرنت به الألحان على اختلاف حالاتها، وما يقتضيه قوى استحالاتها، عظم الأثر، وظهرت العبر، فشجع وأقدم وسهر وقوم وحبب السخاء إلى النفس وشهى، وأضحك حتى ألهى، وأحزن وأبكى وكثير من ذلك يحكى، وهذه قوى سحرية، ومعان بالإضافة إلى السحر خَرِيَّةٌ، فمن الواجب أن يسعى الصنف من الشعر الذي يخلب النفوس ويستفزها، ويثني الأعطاف ويهزها، باسم السحر الذي ظهرت عليه آثار طباعه، وتبين أنه نوع من أنواعه، ولهذا المعنى ففي قوله (ﷺ): إن من البيان لسحرا...»<sup>(28)</sup>.

ويحذر عبد القاهر الجرجاني من سحر الشعراء، ومن سرعة تقلبهم بين المدح والهجاء فيقول:

لَا تَأْمِنِ النَّفْثَةَ مِنْ شَاعِرٍ مَا دَامَ حَيًّا سَالِمًا نَاطِقًا  
فَإِنَّ مَنْ يَمْدَحُكُمْ كَاذِبًا يُحْسِنُ أَنْ يَهْجُوَكُمْ صَادِقًا<sup>(29)</sup>

إذن فالشعر نوع من أنواع السحر؛ ذلك أنه يرتبط بمجموعة من المعاني السحرية، كالتَّحْيِيلِ، والإغراب، والتعجيب، والدُّلْسَةِ، وزخرفة القول، وغيرها من المعاني. وانعكاسات السحر الشعري تظهر في الاستيلاء على النفوس، والتمكن من القلوب، عن طريق أشكال شتى من التأثير؛ كالتأثير في القلب بالتحبيب والترغيب أو التكريه والتنفير، والتأثير في النفس بالبسط أو القبض. وفي هذا يقول البطليوسي معلقا على جمالية التعبير في أحد الأبيات الشعرية لأبي العلاء المعري: «كان الشعراء يستميلون النفوس بتخييلات أشعارهم، كما يستميلها السحرة بتمويهات أسحارهم»<sup>(30)</sup>.

وبالرجوع إلى مدونة الشعر العربي، قديمها وحديثها، نجد أن السحر حاضر بالمعاني السابقة، إما بمنطوق الكلام أو بمفهومه. فمن أمثلة اللفظ الصريح الذي يقرن الشعر بالسحر قول رؤبة بن العجاج رَوَايَةً عن عمرو بن تميم:

لَقَدْ خَشِيتُ أَنْ تَكُونَ سَاحِرًا  
رَاوِيَةً مَرًّا، وَمَرًّا شَاعِرًا<sup>(31)</sup>

فالشعر، هنا، يقتزن بالسحر من زاويتين: زاوية النظم، وزاوية الرَوَايَةِ؛ فناظم الشعر ساحر، وراويته كذلك ساحر. وفي هذا تأكيد لما ورد عن الإغريق من أن رَاوِيَةَ الشعر يَتَلَبَّسُ بما يَتَلَبَّسُ به الشاعر الذي يروي له. وفي هذا يقول سقراط مخاطبا إيون (زَاوِيَةُ هوميروس): «لكن العدد الكبير منهم يمسك ويمس هوميروس، وأنت واحد منهم، يا إيون، الممسوس بهوميروس. (...)، لأنك لا تقول ما تقوله عن هوميروس بفن أو معرفة بل بمس إلهي»<sup>(32)</sup>. ومعناه أن إيون مسكون بقوة سحرية خارقة تسربت إليه من الشاعر الذي يروي له، وهو هوميروس.

ومن مظاهر المفعول السحري للشعر قول أبي نواس:

فَمَا زِلْتُ بِالْأَشْعَارِ فِي كُلِّ مَشْهَدٍ أَلَيْهَا، وَالشَّعْرُ مِنْ عَقْدِ السِّحْرِ  
إِلَى أَنْ أَجَابَتْ لِلْوَصَالِ، وَأَقْبَلْتُ عَلَى غَيْرِ مِيعَادٍ، إِلَيَّ مَعَ الْعَصْرِ<sup>(33)</sup>

فالشعر، هنا كذلك، يعمل عمل السحر من حيث قدرته العجيبة والخارقة على تليين العواطف وقلب المواقف؛ ذلك أن موقف المرأة إزاء الشاعر ينقلب من النقيض إلى النقيض بفعل الشعر؛ فهو ينقلب من الرفض إلى القبول، ومن التصلب إلى الليونة، ومن الجفاء إلى استعجال اللقاء. بل إن قوة التأثير جعل المرأة تستعجل هذا اللقاء قبل موعده بساعات، وهذا مظهر فريد من مظاهر السحر في الشعر.

ولا يكاد أبو العلاء المعري يختلف عن الآخرين في إدراك العلاقة بين الشعر والسحر، بحيث يقول في مدح الشريف أبي إبراهيم موسى بن إسحاق:

شَقَقْتُ الْبَحْرَ مِنْ أَدَبٍ وَفَهْمٍ،      وَغَرَّقَ فِكْرُكَ الْفِكْرَ الطَّمُوحَا  
لَعَبْتُ بِسِحْرِنَا وَالشَّعْرُ سِحْرٌ      فَتُبْنَا مِنْهُ تَوْبَتَنَا النَّصُوحَا<sup>(34)</sup>

فالشاعر، هنا، يعترف بأن الشعر سحرٌ، إلا أن خصال الممدوح، وما يتصف به من تبحر في الأدب، وقوة في الفهم، وسعة في الإدراك... فاقت سحر الشعر إلى درجة أصبح فيها هذا الشعر عاجزا عن استيعابها، ووصفها، والإحاطة بها.

وقال أبو تمام في مدح أبي سعيد محمد بن يوسف الثغري:

وَالنَّاسُ غَيْرُكَ مَا تَغَيَّرَ حُبُّوْتِي      لِفِرَاقِهِمْ هَلْ أَنْجَدُوا أَوْ غَارُوا  
وَلَذَلِكَ شِعْرِي فِيكَ قَدْ سَمِعُوا بِهِ      سِحْرٌ وَأَشْعَارِي لَهُمْ أَشْعَارٌ<sup>(35)</sup>

فأبو تمام، هنا، يقارن بين علاقته بالممدوح وعلاقته بباقي الناس. والفرق بينهما أن علاقته بالممدوح علاقة متينة تقوم على عمق المحبة وقوة الارتباط، وهذا ينعكس على الشعر الذي يرقى إلى مستوى السحر في ارتباطه بهذا الشخص. أما علاقته بباقي الناس فهي علاقة عادية وعابرة وغير مؤثرة، وبالتالي فإن شعره فيهم لا يتجاوز هذه العلاقة العادية والعابرة. والخلاصة، فإن شعره في الممدوح يصير سحراً يؤثر في المتلقي، أما شعره في باقي الناس فلا يتجاوز كونه شعراً؛ أي مجرد كلام موزون مقفى.

وإذا كان أبو تمام يدرك هذه القوة السحرية في شعره، فإنه في قصائد أخرى يعبر عن استغرابه من غياب هذا المفعول السحري، وفي هذا يقول معاتباً ممدوحه السابق وقد رده عن حاجته:

فَأَيْنَ قَصَائِدُ لِي فِيكَ تَأْتِي      وَتَأْنِفُ أَنْ أَهَانَ وَأَنْ أَذَلَّ  
مِنَ السِّحْرِ الْحَلَالِ لِمُجْتَبِيهِ      وَلَمْ أَرْقُبْ لَهَا سِحْرًا حَلَالًا<sup>(36)</sup>

ونجد، في العصر الحديث، شاعراً يعبر عن هذه القوة السحرية في شعره، والأمر يتعلق بالشاعر العراقي معروف الرصافي الذي يقول في إحدى قصائده:

دَعَوْتُ غُرَّ الْقَوَا فِي وَهْيِ شَارِدَةٍ      فَأَقْبَلْتُ وَهْيَ تَمْشِي مَشْيَ مُعْتَذِرٍ  
صَرَفْتُ فِيهِمْ أَقْلَامِي وَرَحْتُ بِهَا      أَعْرِفُ النَّاسَ سِحْرَ السَّمْعِ وَالْبَصَرِ<sup>(37)</sup>

إذن، فهذه بعض النماذج التي تربط ربطاً صريحاً بين الشعر والسحر، وهذا يعني أن هناك من الأشعار ما يعبر عن هذه العلاقة من خلال ما يترتب على الشعر من تأثير في النفوس، وتغيير في الأحوال، فيكون بهذا المفعول شبيهاً بتأثير السحر. ولنا أمثلة كثيرة في الشعر العربي، قديمه وحديثه، تبرز على هذه العلاقة بين تأثير السحر وتأثير الشعر.

نبدأ أولاً بالعصر الجاهلي، ولا بد أن نقف هنا على أعتاب نص قديم لابن رشيق القيرواني يتحدث فيه عن مكانة الشاعر في القبيلة، وفيه يقول: «كانت القبيلة من العرب إذا نبغ فيها شاعر أتت القبائل فهنأتها بذلك، وصنعت الأطعمة، واجتمع النساء يلعبن بالمزاهر، ويتباشر الرجال والولدان؛ لأنه حماية لأعراضهم، وذبح عن أحسابهم، وتخليدٌ لمآثرهم، وإشادة بذكرهم...»<sup>(38)</sup>.

إذن فالشاعر يستمد مكانته من قيمة شعره؛ أي من هذا السحر البياني الذي يرتفع بقوم إلى السماء وينزل بآخرين إلى الحضيض، فيخلد بعضهم في العز، ويخلد بعضهم في الذل. ولنا مثال واضح بشاعر استثنائي فَجَّرَ هذه القوة السحرية في شعره للارتقاء بقبيلته إلى أعلى قمم المجد، والنزول بأعدائها إلى أسفل مراتب الدونية. والشاعر المقصود هنا هو عمرو بن كلثوم الذي يقول في معلقته الشهيرة:

وَقَدْ عَلِمَ الْقَبَائِلُ مِنْ مَعَدٍ إِذَا قُبِبَ بِأَبْطَحِهَا بُنَيْنَا  
بِأَنَّا الْمُطْعَمُونَ إِذَا قَدَرْنَا وَأَنَا الْمُهْلِكُونَ إِذَا ابْتُلِينَا  
وَأَنَا الْمَانِعُونَ لِمَا أَرَدْنَا وَأَنَا النَّازِلُونَ بِحَيْثُ شِينَا  
وَأَنَا التَّارِكُونَ إِذَا سَخَطْنَا وَأَنَا الْآخِذُونَ إِذَا رَضِينَا  
وَأَنَا الْعَاصِمُونَ إِذَا أُطْعِمْنَا وَأَنَا الْعَازِمُونَ إِذَا عُصِينَا  
وَأَنَا الطَّالِبُونَ إِذَا نَقِمْنَا وَأَنَا الضَّارِبُونَ إِذَا ابْتُلِينَا  
وَأَنَا النَّازِلُونَ بِكُلِّ ثَغْرِ يَخَافُ النَّازِلُونَ بِهِ الْمُنُونَا  
بُغَاةَ ظَالِمِينَ وَمَا ظَلَمْنَا وَلَكِنَّا سَنَبِدًا ظَالِمِينَا<sup>(39)</sup>

ففي هذه القصيدة، يستمد الشعر طاقته السحرية من التخيل؛ أي من هذه القدرة العجيبة على إنتاج مشاهد وصور شعرية ترتقي بالقبيلة إلى مستوى الأسطورة، وفي المقابل، فإنها تنزل بخصومها إلى الحضيض. وفي كلتا الحالتين، فالشاعر يعمد إلى بناء عوالم لا وجود لها في الواقع، ولكنه يخيل إلى المتلقي أنها موجودة فعلاً. إن فعل التأثير، في هذا المقطع، يقوم على محاصرة القارئ بسيل جارف من الصفات التي تميز أفراد قبيلة الشاعر عن أفراد باقي القبائل الأخرى؛ فهم المطعمون، والمهلكون، والمانعون، والتاركون، والآخذون، والعاصمون، والعازمون، والطالبون، والضاربون، والنازلون...، وغير ذلك من الصفات التي تحقق لهم سيادة مطلقة على غيرهم، ولو باستعمال القوة وممارسة الظلم، وذلك انسجاماً مع منطق المجتمع الجاهلي الذي أكدّه شاعر آخر بقوله:

وَمَنْ لَمْ يَذُذْ عَنْ حَوْضِهِ بِسِلَاحِهِ يُهْدَمُ وَمَنْ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ يُظْلَمُ<sup>(40)</sup>

ويتم تأكيد هذه السيادة المطلقة عند عمرو بن كلثوم، في القصيدة نفسها، من خلال هذه الصورة الترهيبية التي تبالغ في تصوير العدد، وذلك في قول الشاعر:

مَلَأْنَا الْبَرْحَ حَتَّى ضَاقَ عَنَّا وَمَاءُ الْبَحْرِ نَمْلُؤُهُ سَفِينَا<sup>(41)</sup>

فالشاعر هنا يُحوِّلُ الواقع إلى أسطورة؛ ولنا أن نتخيل السحر الذي تمارسه اللغة الشعرية وهي ترتقي بقبيلة محدودة العدد والمساحة إلى تجمع بشري أسطوري يضيق به البر والبحر.

ولا شك أن الهدف من هذه الصورة الترهيبية هو تأكيد هذه السيادة المطلقة التي نجد كذلك تجسيدا لها في بيت لاحق يقول فيه الشاعر:

إِذَا بَلَغَ الْفِطَامَ لَنَا وَلَيْدٌ تَخِرُّ لَهُ الْجَبَابِرُ سَاجِدِينَ<sup>(42)</sup>

إن الغاية من هذا الإيغال في التخييل هو ترهيب الخصم وإضعاف قوته، وذلك من خلال قلب الحقائق في الواقع. ولنا أن نتخيل ما يوحي به هذا البيت من القوة الأسطورية التي تجاوزت كل حدود المنطق، حتى أرغمت جبابرة الخصوم، في خيال الشاعر، على السجود لطفل بلغ بالكاد سن الفطام. ولنا أن نتخيل كذلك بيتا آخر يشكل فيه التكرار قوة سحرية مرعبة، وهو قوله:

أَلَا لَا يَجْهَلُنَّ أَحَدٌ عَلَيْنَا فَتَجْهَلُ فَوْقَ جَهْلِ الْجَاهِلِينَ<sup>(43)</sup>

وفضلا عن عمرو بن كلثوم، نجد في قوائم شعراء الجاهلية وصدر الإسلام من يمتلك هذه القوة السحرية على قلب الحقائق وتغييرها من النقيض إلى النقيض، وهنا يعن لنا شاعر مخضرم هو الحطيئة الذي كان يرفع من يشاء بشعره، ويسقط من أراد.

فمن أمثلة من رفعهم الشاعر بشعره، بعد أن كانوا أذلة محتقرين، قبيلة بني أنف الناقة؛ فقد كان هؤلاء «يَفْرُقُونَ» من هذا الاسم، حتى إن الرجل منهم كان يُسأل: ممن هو؟ فيقول: من بني قريع، فيتجاوز جعفر أنف الناقة بن قريع بن عوف بن مالك، ويلغي ذكره فرارا من هذا اللقب<sup>(44)</sup>، إلى أن مدحهم الشاعر بقوله:

سِيرِي أُمَامُ، فَإِنَّ الْأَكْثَرِينَ حَصَى وَالْأَكْرَمِينَ إِذَا مَا يُنْسَبُونَ أَبَا قَوْمٍ هُمُ الْأَنْفُ، وَالْأَذْنَابُ غَيْرُهُمْ وَمَنْ يُسَاوِي بِأَنْفِ النَّاقَةِ الدَّنْبَا؟

فصاروا، بعد ذلك، «يتظاهرون بهذا الاسم، (ويتطاولون بهذا النسب)، ويمدون به أصواتهم في جبهة»<sup>(45)</sup>. وقد يكون المفعول السحري للشعر مفعولا عكسيا، وذلك بنقل الصفة من قاموس المدح إلى قاموس الهجاء. ولنا مثال في هذه الحالة بشعر لحسان بن ثابت في قوم كانوا يتفاخرون بطول أجسامهم، بحيث «قال له بنو الدَّيَّانِ الحارثيون: قد كنا ونحن نطول بأجسامنا على العرب حتى قلت:

دَعُوا التَّخَايُفَ وَامْشُوا مِشْيَةَ سُجْحَا إِنَّ الرِّجَالَ ذَوُوقَ وَتَذَكِيرِ لَا بَأْسَ بِالْقَوْمِ مِنْ طُولٍ وَمِنْ عِظَمِ جِسْمِ الْبِغَالِ وَأَحْلَامِ الْعَصَافِيرِ

فتركتنا لا نرى أجسامنا شيئا»<sup>(46)</sup>.

والحطيئة كذلك شاعر يستطيع بسحر شعره تليين العواطف، وقلب القلوب. ولنا مثال في هذه الحالة بالموقف الشهير بينه وبين الخليفة عمر بن الخطاب؛ وذلك حينما هجا الزبرقان بن بدر، فشكاه هذا الأخير إلى الخليفة، «فأمر عمر بحبسه، فاستعطفه الحطيئة بقصائد عدة، إلا أن عمر لم يلن له حتى قال أبياته المشهورة:

مَاذَا تَقُولُ لِأَفْرَاحٍ بِذِي مَرَحٍ زُغِبِ الْحَوَاصِلُ لَا مَاءَ وَلَا شَجَرٍ أَلْقَيْتَ كَاسِيَهُمْ فِي قَعْرِ مُظْلِمَةٍ فَاغْفِرْ عَلَيْكَ سَلَامُ اللَّهِ يَا عُمَرُ

فأخرجه وعفا عنه، واشترى منه أعراض المسلمين بثلاثة آلاف درهم»<sup>(47)</sup>. وفي هذا السياق كان الأعشى صادقا في قوله عن القوة السحرية للشعر:

قَلَدْتُكَ الشِّعْرِيَا سَلَامَةً ذَا ال تَفْضَالِ وَالسَّيِّءُ حَيْثُمَا جُعِلَا وَالشِّعْرُ يَسْتَنْزِلُ الْكَرِيمَ كَمَا اسْدُ تَنْزَلُ رَعْدُ السَّحَابَةِ السَّبَلَا<sup>(48)</sup>

وبالانتقال إلى العصر الأموي، نجد أن الشعر ظل محتفظا بهذه المكانة التي تجعل منه قوة مؤثرة وقادرة على خلق التغيير في التجارب الفردية والجماعية.

فهذا مجنون ليلي الذي تيممه الحب، وخبل عقله، وجعله يتيه في البراري والقفار، لا يجد، في النهاية، إلا الشعر لتحقيق توازنه النفسي، حيث يقول:

فَمَا أُشْرِفُ الْأَيْفَاعَ إِلَّا صَبَابَةً وَلَا أُنْشِدُ الْأَشْعَارَ إِلَّا تَدَاوِيًا<sup>(49)</sup>

والمفهوم من هذا القول أن الشعر ينطوي على طاقة إيجابية تدفع الشاعر إلى التمسك بالحياة. إنه قوة جبارة تعيد بناء العلاقة، بشكل طبيعي، بينه وبين العالم من حوله. إنه دواء ضد الجفاء، وضد الفراق، وضد الخصوم، وضد التقاليد، وضد اليأس. إنه وسيلة من وسائل التطهير التي تُخَلِّصُ النفس من المشاعر السوداء، وتفتح أمامها ولو بصيصا ضعيفا من التفاؤل والأمل.

ونجد كذلك في العصر الأموي، طائفة من الشعراء الذين استغلوا الخيال الشعري للتأثير في الواقع وتوجيه الرأي العام، والأمر يتعلق بشعراء النقائض الذين اتخذوا من الفخر والهجاء وسيلتين للدفاع عن القبيلة، ونفث السحر في وجه الخصوم. وفي هذا يقول الفرزدق مفتخرا بنفسه وبقبيلته وهاجيا جريرا وقبيلته:

إِنَّ الَّتِي فَقِئْتُ بِهَا أَبْصَارُكُمْ، وَهِيَ الَّتِي دَمَغْتُ أَبَاكَ، الْفَيْصَلُ  
وَهَبَ الْقَصَائِدَ لِي النَّوَابِغُ، إِذْ مَضَوْا، وَأَبُو يَزِيدٍ وَذُو الْقُرُوحِ وَجَرُولُ  
وَالْفَحْلُ عَلَقْمَةُ الَّذِي كَانَتْ لَهُ حُلُّ الْمُلُوكِ كَلَامُهُ لَا يُنْحَلُ  
وَأَخُو بَنِي قَيْسٍ، وَهُنَّ قَتَلْنَهُ، وَمُهْلِلُ الشَّعْرَاءِ ذَاكَ الْأَوَّلُ  
وَالْأَعَشِيَّانِ، كِلَاهُمَا، وَمَرْقَشٌ، وَأَخُو قُضَاعَةَ قَوْلُهُ يُتَمَثَّلُ  
وَأَخُو بَنِي أَسَدٍ عُبَيْدٌ، إِذْ مَضَى، وَأَبُو دَوَادٍ قَوْلُهُ يُتَنَحَّلُ  
وَابْنُ أَبِي سُلَيْمٍ زُهَيْرٌ وَابْنُهُ، وَابْنُ الْفُرَيْعَةِ حِينَ جَدَّ الْمُقُولُ  
وَالْجَعْفَرِيُّ، وَكَانَ بِشَرِّ قَبْلِهِ، لِي مِنْ قَصَائِدِهِ الْكِتَابُ الْمُجْمَلُ  
وَلَقَدْ وَرِثْتُ لَالِ أَوْسٍ مَنْطِقًا كَالسَّمِّ خَالِطَ جَانِبَيْهِ الْحَنْظَلُ<sup>(50)</sup>

يفتخر الفرزدق في هذه الأبيات بسحره الشعري الذي دمر به الخصوم، وكانت له الكلمة الفصل بينه وبين أعدائه. وما يمنح هذا الشعر قوته السحرية هو كونه حصيلة لإرث تاريخي أسهم فيه مجموعة من فطاحل الشعراء الذين شكلوا معدنه الشعري. وقد ذكر منهم طائفة من الأسماء، إما تصريحاً أو تلميحاً، كالنوابغ الأربعة، والمخيل السعدي، وامرئ القيس، والحطيئة، وعلقمة الفحل، وطرفة بن العبد، والمهمل، والأعشىين (الأكبر والأصغر)، والمرقش، وعبيد بن الأبرص، وأبي دؤاد الإيادي، وزهير بن أبي سلمى وابنه كعب بن زهير، وحسان بن ثابت، ولبيد بن ربيعة، وبشر بن حازم... فكل هؤلاء ألهموه شعرا يقطر كالسم الممزوج بالحنظل، كناية عن مرارته وفتكه بمن يُهَيَّجِي به.

وإذا كان السحر لا يبطله إلا السحر، فإن جريرا يرد على هذه القصيدة بنقيضة يقول فيها:

أَعْدَدْتُ لِلشَّعْرَاءِ سُمًّا نَاقِعًا فَسَقَيْتُ آخِرَهُمْ بِكَأْسِ الْأَوَّلِ  
لَمَّا وَضَعْتُ عَلَى الْفَرَزْدَقِ مَيْسِي وَضَعَا الْبَعِيثُ جَدَعْتُ أَنْفَ الْأَخْطَلِ  
إِنِّي انْصَبَبْتُ مِنَ السَّمَاءِ عَلَيْكُمْ حَتَّى اخْتَطَفْتُكَ يَا فَرَزْدَقُ مِنْ عِلٍّ<sup>(51)</sup>

فجريير، كما تذكر الروايات، واجه ثمانين شاعرا وغلهم جميعا، ولم يصمد أمامه منهم إلا اثنان هما الفرزدق والأخطل. وهذا إن دل على شيء، فإنما يدل على أن قصائده في الهجاء كان لها مفعول سحري في إفحام

الخصوم<sup>(52)</sup>؛ إنه مفعول شبيه بالسّم القاتل الذي يشل به قرائح الشعراء ويدمرهم واحدا تلو الآخر، بل إنه شبيه بالصقر الذي ينقض على فريسته ويطيّر بها في السماء.

ولجّير كذلك قصة مع الراعي النميري الذي وقف ضده إلى جانب الفرزدق، فجَرَّ على نفسه وعلى قومه الخزي والعار؛ وذلك حينما أوعز إليه رجل من بني نمير أن يقول شعرا يفضل به الفرزدق على جرير، فقال:

يَا صَاحِبِي دَنَا الْأَصِيلُ فَسِيرَا      غَلَبَ الْفَرَزْدَقُ فِي الْهَجَاءِ جَرِيرَا<sup>(53)</sup>

فما كان من جرير إلا أن رد عليه بقصيدة هجائية لاذعة من مائة وأربعة عشر بيتا، منها هذا البيت الذي عده النقاد أهجى بيت قالته العرب، وهو قوله:

فَغُضَّ الطَّرْفَ إِنَّكَ مِنْ نُمَيْرٍ      فَلَا كَعْبًا بَلَّغْتَ وَلَا كِلَابَا<sup>(54)</sup>

وما يهمننا في هذه القصة هو مفعول هذا البيت على نفسية الراعي النميري وقومه؛ فقد ذكر مؤرخو الآداب أن بني نمير «لم يرفعوا رأساً بعدها إلا نُكِسَ بهذا البيت»<sup>(55)</sup>. وقد بلغ من شهرة هذه القصيدة وقوة تأثيرها أن كانت «تسميها العرب: الفاضحة، وقيل سماها جرير: الدَّمَاعَة، لأنها تركت بني نمير ينتسبون بالبصرة إلى عامر بن صعصعة، ويتجاوزون أباهم نميرا إلى عامر أبيه، هربا من ذكر نمير، وفرارا مما وسم به من الفضيحة والوصمة»<sup>(56)</sup>. وقيل إن جريرا لما فرغ من نظمها «كَبَّرَ ثم قال: أخزيتة ورب الكعبة... والله لا يفلح بعدها أبدا»<sup>(57)</sup>، وفي رواية أخرى قال: «غضضته والله، أخزيتة والله، فضحته ورب الكعبة»<sup>(58)</sup>. أما الراعي، فقد أقسم بالله أن هذا الشعر «ما بلغه إنسي قط، وإن لجريراً لأشياءاً من الجن»<sup>(59)</sup>. فلما خرج هو وابنه من البصرة وجدا أن البيت قد سبقهم إلى القبيلة، «فتشاءمت به بنو نمير وسبوه وسبوا ابنه، فهم إلى الآن يتشاءمون بهم وبولدهم»<sup>(60)</sup>. والأكثر من هذا، فإن الراعي أحس «أنه قد أساء فندم، فتزعم بنو نمير أنه حلف لا يجيبه سنة غضبا على ابنه، وأنه مات في السنة. ويقول غيره أنه كَمِدَ لما سمعها فمات»<sup>(61)</sup>.

ومن الأبيات الشعرية التي غيرت مجرى التاريخ قول عمر بن أبي ربيعة:

لَيْتَ هُنْدًا أَنْجَزْتَنَا مَا تَعِدُ      وَشَقْتُ أَنْفُسَنَا مِمَّا تَجِدُ  
وَاسْتَبَدَّتْ مَرَّةً وَاحِدَةً      إِنَّمَا الْعَاجِزُ مَنْ لَا يَسْتَبِدُّ<sup>(62)</sup>

فهذان البيتان، رغم أنهما ينتميان إلى فن الغزل، كانا سببا في نكبة سياسية كبيرة، في العصر العباسي، هي «نكبة البرامكة»؛ ذلك أن هؤلاء لما اشتد خطرهم على الدولة، تحيّل بعض أعدائهم من بطانة هارون الرشيد، فسدوا هذا الشعر لبعض المغنين، فلما سمعه الخليفة اشتد غضبه، وثارت حفيظته، وقال: «إي والله إني عاجز»، فما كان منه إلا أن ألقى القبض عليهم جميعا، ونكّل بهم، وأبادهم عن آخرهم<sup>(63)</sup>.

وفضلا عن المدح والهجاء والغزل، نجد كذلك هذه الطاقة السحرية في شعر الرثاء؛ ومن أمثله قصيدة شهيرة لأبي الحسن الأنباري في رثاء الوزير أبي طاهر محمد بن بقية الذي قتله وصلبه عز الدولة بن بويه بعد وشاية كاذبة من أعدائه، وفيها يقول:

عُلُوٌّ فِي الْحَيَاةِ وَفِي الْمَمَاتِ      لَحَقُّ أَنْتَ إِحْدَى الْمُعْجَزَاتِ  
كَأَنَّ النَّاسَ حَوْلَكَ حِينَ قَامُوا      وَفُودُ نَدَاكَ أَيَّامَ الصِّلَاتِ  
كَأَنَّكَ قَائِمٌ فِيهِمْ خَطِيبًا      وَكُلُّهُمْ قِيَامٌ لِلصَّلَاةِ  
مَدَدْتَ يَدَيْكَ نَحْوَهُمْ اخْتِفَاءً      كَمَدَّهَا إِلَيْهِمْ بِالْهَبَاتِ

وَلَمَّا ضَاقَ بَطْنُ الْأَرْضِ عَنْ أَنْ يَضُمَّ عَلَاكَ مِنْ بَعْدِ الْوَفَاةِ  
أَصَارُوا الْجَوْ قَبْرَكَ وَاسْتَعَاضُوا عَنِ الْأَكْفَانِ ثُوبَ السَّافِيَاتِ  
لِعُظْمِكَ فِي الثُّفُوسِ تَبِيتُ تُرْعَى بِحُرَّاسٍ وَحُقَاقِثِ ثِقَاتِ  
وَتُشْعَلُ عِنْدَكَ النَّيْرَانُ لَيْلًا كَذَلِكَ كُنْتَ أَيَّامَ الْحَيَاةِ<sup>(64)</sup>

إن المشهد الحقيقي الذي التقطته عين الشاعر في هذه القصيدة هو مشهد إنسان مصلوب، معلق عالياً فوق خشبة، والناس يتفرجون عليه. وإذا كان هذا المشهد مستبشعاً ومقزاً في الواقع، فإن الشاعر حاول أن ينقله إلى المتلقي بصورة أخرى تحوله إلى مشهد جميل وفريد يرتفع بصاحبه إلى مستوى المعجزات التي تسوي بين حياته وموته في الرفعة والجلال. وقد كانت وسيلته في ذلك هي "التشبيه" الذي تحدث عنه عبد القاهر الجرجاني حديثاً عجباً جاء فيه: «وينبغي أن تعلم أن باب التشبيهات قد حظي من هذه الطريقة بضرب من السحر...»<sup>(65)</sup>.

وعلى هذا الأساس، فإن الشاعر يُخَيِّلُ إلى المتلقي، بواسطة التشبيه، أن الشخص المائل أمامه ليس جسداً مصلوباً على خشبة، وإنما هو خطيب قام في الناس واعظاً، وإمام يؤمهم في الصلاة. كما أن يديه الممدودتين على الصليب هما، في خيال الشاعر، ممدودتان للترحيب وتوزيع العطايا على الناس. وهذه الجثة المعلقة في السماء ما كان لها أن تكون على هذا الوضع إلا لأن بطن الأرض ضاق عن احتواء فضائل ومكارم الفقيد، فصار الجو الفسيح قبره. كما أن الثوب ضاق ليكون له كفناً، فصارت الرياح المنتشرة كفناً له. وهؤلاء العسس الذين يحرسون جثته اليوم هم، في الواقع، جنوده الذين كانوا يحرسونه في حياته. أما النار التي تضيء موضع الصلب، فهي النار التي كانت يوقدها لإكرام ضيوفه.

وهذا، فإن الشاعر، بفعل حبه ووفائه لصديقه، حاول تزيين صورة المشبه، وتحويلها، عن طريق التخيل، من منظر مستبشع إلى منظر جميل للتأثير في المتلقي واستمالاته عاطفياً حتى يمحو من ذهنه صورة الإنسان المذنب الخائن التي روج لها أعداء الفقيد، إلى صورة الإنسان النبيل المكرم في موته كما كان مكرماً في حياته.

ولعل أبرز دليل على براعة التخيل وقوة التأثير السحري للصورة الشعرية أن هذه القصيدة لما تداولها الأدباء، ووصلت نسخة منها إلى عضد الدولة، «تمنى أن يكون هو المصلوب دونه»<sup>(66)</sup>. فأى سحر هذا الذي بمقدوره أن يُحوِّلَ المنظر القبيح إلى منظر جميل؟ وأي سحر هذا الذي يجعل إنساناً يتمنى الموت ليُرْتَى بهذه الأبيات؟ إن الحقيقة هي أن المتلقي اكتشف أن وراء الرثاء، تكمن مادة سحرية تجعل من القصيدة مادة للخلود بعد الموت، وهذا مظهر من مظاهر السحر في الشعر.

وبالانتقال إلى الشعر الحديث، نجد كذلك أمثلة يتم فيها الربط بين الشعر والسحر، ومن ذلك قصيدة

للشاعر المهجري إيليا أبي ماضي بعنوان: "الدمعة الخرساء"، وفيها يقول:

سَمِعْتُ عَوِيلَ النَّائِحَاتِ عَشِيَّةً فِي الْحَيِّ يَبْتَعَثُ الْأَمْسَى وَيُثِيرُ  
يَبْكِينَ فِي جُنْحِ الظَّلَامِ صَبِيَّةً إِنَّ الْبُكَاءَ عَلَى الشَّبَابِ مَرِيرُ  
فَتَجَهَّمْتُ وَتَلَفَّتْ مُرْتَاعَةً كَالظَّبْيِ أَيْقَنَ أَنَّهُ مَأْسُورُ  
وَتَحَيَّرْتُ فِي مُقْلَتَيْهَا دَمْعَةً خَرَسَاءُ لَا تَهْنِي وَلَيْسَ تَغُورُ  
وَجَمْتُ فَأَمْسَى كُلُّ شَيْءٍ وَاجِماً النُّورُ، وَالْأَظْلَالُ، وَالْدَّيْجُورُ  
الْكُونُ أَجْمَعُ ذَاهِلٌ لِدُحُولِهَا حَتَّى كَأَنَّ الْأَرْضَ لَيْسَ تَدُورُ

لَا شَيْءَ مِمَّا حَوَّلْنَا وَأَمَامَنَا      حَسَنٌ لَدَيْهَا وَالْجَمَالَ كَثِيرٌ  
سَكَتَ الْغَدِيرُ كَأَنَّمَا التَّحَفَ الثَّرَى      وَسَهَا النَّسِيمُ كَأَنَّهُ مَدْعُورٌ  
وَكَأَنَّمَا الْفَلَكَ الْمُنُورُ بَلَقْعٌ      وَالْأَنْجُمُ الرَّهْرَاءُ فِيهِ قُبُورٌ  
كَأَنَّتُ تُمَارِجُنِي وَتَضْحَكُ فَأَنْتَهَى      دَوْرُ الْمِرْزَاحِ فَضَحِكُهَا تَفْكِيرٌ  
قَالَتْ وَقَدْ سَلَخَ ابْتِسَامَتَهَا الْأَسَى      صَدَقَ الَّذِي قَالَ الْحَيَاةُ غُرُورٌ  
أَكْذَا نُمُوتُ وَتَنْقُضِي أَحْلَامَنَا      فِي لَحْظَةٍ وَإِلَى التَّرَابِ نَصِيرُ؟<sup>(67)</sup>

لقد انطلق الشاعر في هذه القصيدة من الإيحاء بلحظة سعيدة كان يعيشها مع حبيبته بين أحضان الطبيعة الفاتنة، لكن سرعان ما انقلبت هذه السعادة إلى كآبة بعد أن تداعى إلى سمعهما خبر وفاة صبية. وهنا تغيرت أحوال المرأة واصطبغت مشاعرها النفسية بمجموعة من الأحاسيس والهواجس السلبية، كالحزن، والخوف، والحيرة، والصمت، والشك... وقد انعكست هذه الأحوال النفسية على الطبيعة التي بدت، هي الأخرى، ساكنة، وصامتة، وذاهلة، وحزينة. وقد ترتب على ذلك أن تحولت كل مظاهر الجمال إلى قبح، وكل مظاهر الحياة إلى موت، وكل مظاهر الفرح والبهجة إلى حزن وتفكير. وقد فتح هذا الحدث سياقاً مناسباً لإثارة قضية وجودية، وذلك من خلال تساؤل المرأة عن جدوى الحياة إذا كان هناك موت يعقبها فيكدرها.

لقد أصبح هاجس الشاعر في هذا الموقف هو: كيف يعيد للمرأة توازنها النفسي؟ وكيف يعيد للعالم منطقته الطبيعي؟ وقد كان السبيل إلى ذلك هو الاستعانة بسحر القول، وجمال التخيل، وفي هذا يقول:

لَا تَجْزَعِي فَأَلْمُوتُ لَيْسَ يَضِيرُنَا      فَلَنَا إِيَّابٌ بَعْدَهُ وَثُشُورٌ  
إِنَّا سَنَبْقَى بَعْدَ أَنْ يَمْضِيَ الْوَرَى      وَيَزُولَ هَذَا الْعَالَمُ الْمُنْظُورُ  
فَالْحُبُّ نُورٌ خَالِدٌ مُتَجَدِّدٌ      لَا يَنْطَوِي إِلَّا لِيَسْطَعَ نُورٌ  
فَإِذَا طَوْتُنَا الْأَرْضُ عَنْ أَزْهَارِهَا      وَخَلَا الدُّجَى مِنَّا وَفِيهِ بُدُورٌ  
فَسَتَرْجِعِينَ خَمِيلَةً مِعْطَارَةً      أَنَا فِي ذُرَاهَا بُلْبُلٌ مَسْحُورٌ  
يَشْدُو لَهَا وَيَطِيرُ فِي جَنَابَاتِهَا      فَتَمِشُ إِذْ يَشْدُو وَحِينَ يَطِيرُ  
أَوْ جَدُولاً مُتَرْقِراً مُتَرْتَمًا      أَنَا فِيهِ مَوْجٌ ضَاحِكٌ وَخَرِيرٌ  
أَوْ تَرْجِعِينَ فَرَّاشَةً خَطَّارَةً      أَنَا فِي جَنَاحِهَا الضُّحَى الْمُؤْشُورُ  
أَوْ نَسْمَةً أَنَا هَمْسُهَا وَحَفِيفُهَا      أَبَدًا تُطَوِّفُ فِي الرُّبَى وَتَدُورُ<sup>(68)</sup>

لقد حاول الشاعر أن يخفف من آلام المرأة، ويعيد الابتسامة إلى محياها بتقديم الدليل على استمرار الحياة بعد الموت؛ وذلك من خلال إقناعها بأن الفناء يكون فقط للأجساد، بينما تبقى أرواح المحبين خالدة. ومن مظاهر خلودها أنها يمكن أن تحل أو تتناسخ، بعد الموت، في كائنات أخرى جميلة كالأزهار، والأشجار، والعصافير، والفراشات، والجدول، والأنوار...

ولا شك أن المفعول السحري للشعر انعكس بشكل إيجابي على شعور المرأة. وهذا ما عبر عنه الشاعر في المقطع اللاحق بقوله:

فَتَبَسَّمتُ وَبَدَا الرِّضَا فِي وَجْهِهَا      إِذْ رَاقَهَا التَّمَثِيلُ وَالتَّصْوِيرُ  
عَالَجْتُهَا بِالْوَهْمِ فِي قَرِيرَةٍ      وَلَكَمْ أَفَادَ الْمَوْجَعَ التَّخْدِيرُ

ثُمَّ افْتَرَقْنَا ضَا حِكَيْنِ إِلَى غَدٍ وَالشُّهْبُ تَهْمِسُ فَوْقَنَا وَتُشِيرُ  
هِيَ كَالْمُسَافِرِ أَبْ بَعْدَ مَشَقَّةٍ وَأَنَا كَأَنِّي قَائِدٌ مَنْصُورٌ<sup>(69)</sup>

إن الشاعر هنا يكشف عن أدواته السحرية، وهي "التمثيل والتصوير" أو "التخيل"، إذ بواسطة هذه الأداة تَمَكَّنَ من خلق عالم وهمي كان له الفضل في إخفاء الحقيقة المفجعة، ووضع المرأة تحت تأثير مخدر بلاغي حَوْلَ مشاعرها من الخوف إلى الاطمئنان، ومن الكآبة إلى الفرح، ومن الوجوم إلى الابتسام، ومن الضيق إلى الفرح، ومن الانكسار إلى الانتصار. وهذا مظهر من مظاهر سحر البيان.

ومن الأمثلة الشعرية المعاصرة التي عبرت عن علاقة الشعر بالسحر قصيدة شهيرة للشاعر السوري نزار قباني بعنوان "كلمات".

إن عنوان هذه القصيدة يفصح، منذ البداية، عن الأداة الأساسية التي تقوم عليها الصناعة الشعرية، وهي "اللغة". وإذا كانت اللغة وسيلة للتعبير في مجموعة من الفنون الأدبية، فإن ما يميزها، في سياق هذه القصيدة، هو كونها لغة من نوع خاص (كلمات ليست كالكلمات). وهذه الصفة فلغة الشعر تختلف عن اللغة العادية من حيث إنها تشتبك في علاقات جديدة، وفي تركيب كيميائي عجيب ينقلها إلى آفاق الغرابة، وتخوم السحر، ومناطق الدهشة. إنها تتميز عن اللغة العادية بخاصية بلاغية هي خاصية "الانزياح". حسب تعبير جون كوهن (Jean Cohen). أو خاصية "الرقص". كما عبر عن ذلك بول فاليري (Paul Valery). في تمييزه بين لغة تمثلي هي لغة النثر، ولغة ترقص هي لغة الشعر.

يبدأ الشاعر قصيدته بقوله على لسان امرأة:

يُسْمِعُنِي .. حِينَ يُرَاقِصُنِي  
كَلِمَاتٍ لَيْسَتْ كَالْكَلِمَاتِ<sup>(70)</sup>

فتزار قباني، في هذا البيت، يجمع، في توليف جميل، بين نوعين من الرقص: رقص بالجسد، ورقص بالكلمات، وهنا تجدر الإشارة إلى أن للشاعر ديواناً بهذا العنوان هو "الرقص بالكلمات". ومن خلال هذا الجمع يتولد طقس سحري يغير مجموعة من الأشياء في فضاء الحدث. إنه ينقل المرأة، في وصلة الرقص، من عالم الواقع إلى عالم الخيال، حيث تتراعى لها مجموعة من المشاهد الجميلة التي لا يمكن أن توجد إلا في شريط الأحلام. ولنستمع هنا إلى ما يقوله الشاعر على لسان المرأة:

يَأْخُذْنِي مِنْ تَحْتِ ذِرَاعِي  
يَزْرَعُنِي فِي إِحْدَى الْغَيْمَاتِ  
وَالْمَطَرُ الْأَسْوَدُ فِي عَيْنِي  
يَتَسَاقَطُ زَخَاتٍ .. زَخَاتٍ  
يَحْمِلُنِي مَعَهُ .. يَحْمِلُنِي  
لِمَسَاءٍ وَزْدِي الشُّرُفَاتِ  
وَأَنَا .. كَالطِّفْلِ فِي يَدِهِ  
كَالرَيْشَةِ تَحْمِلُهَا النَّسَمَاتِ  
يَحْمِلُ لِي سَبْعَةَ أَقْمَارٍ

بِيَدَيْهِ وَحُرْمَةً أَغْنِيَاتُ  
يُهْدِينِي شَمْساً .. يُهْدِينِي  
صَيْفًا .. وَقَطِيعَ سُنُونُوتٍ<sup>(71)</sup>

إن كلمات الشاعر تمارس مفعولا سحريا شاملا يسري تأثيره على مجموعة من العناصر (المكان، والزمان، والإنسان، والأشياء). فالمرأة، بفعل سحر الكلمات، تنتقل من مساحة المرقص الضيقة والمعتمدة إلى آفاق الطبيعة الرحبة والزاهية، إنها تسافر بعيدا في الغيوم، تحت سماء ممطرة بزخات سوداء، وشرفات وردية تصنعها ألوان الشفق في المساء. والأكثر من ذلك، فإن الكلمات (الشعر) تلقي بعصاها السحرية على الزمن، فتخيل إلى المرأة أنها تعود إلى مرحلة الطفولة البريئة، وتبعا لهذا يتحول جسدها إلى كتلة خفيفة تحملها النسمات العليلة وتلاعب بها كالريشة في الهواء. وإضافة إلى ذلك، فإن الأشياء المستحيلة تصبح هدايا طبيعة في متناول اليد؛ فالشاعر يهديها، من خلال الكلمات، أقمار السماء البعيدة، وباقة من الأغاني الرائعة، كما يهديها مظاهر الفصول المختلفة في وقت واحد (الصيف بشمس الساطعة، والربيع من خلال قطيع السنونوات).

وتتوالى معجزة الشاعر بالكلمات، وذلك من خلال قوله على لسانها دائما:

يُخْبِرُنِي .. أَنِّي تُحَفَّتُهُ  
وَأَسَاوِي آلَافَ النُّجُمَاتِ  
وَبِأَنِّي كُنْتُ زُرًّا .. وَبِأَنِّي  
أَجْمَلُ مَا شَاهَدَ مِنْ لَوْحَاتٍ<sup>(72)</sup>

إن قوة المفعول السحري للشعر تُخَيِّلُ إلى المرأة أنها تحفة نادرة، وكنز ثمين، ولوحة فريدة هي غاية في الفن والإبداع، وأن قيمتها ليست عادية، وإنما تساوي آلاف النجمات. وكل هذا يجعلها تتفاعل وتقول في انتشاء:

يَرَوِي أَشْيَاءَ تُدَوِّخُنِي  
تُنْسِينِي الْمَرْقَصَ وَالْخَطَوَاتِ  
كَلِمَاتٍ تَقْلِبُ تَارِيخِي  
تَجْعَلُنِي امْرَأَةً فِي لَحَظَاتِ  
يَبْنِي لِي قَصَصاً مِنْ وَهْمٍ  
لَا أَسْكُنُ فِيهِ سِوَى لَحَظَاتِ  
وَأَعُودُ .. أَعُودُ لِطَاوِلَتِي  
لَا شَيْءَ مَعِي .. إِلَّا كَلِمَاتٌ<sup>(73)</sup>

إن هذا العالم السحري الذي يصنعه الشاعر بالكلمات يمارس تأثيرا عميقا في نفسية المرأة وشعورها وشخصيتها، إنه يمارس عليها نوعا من التخدير الجميل الذي يفقدها الوعي بالمكان وبما يجري في هذا المكان. بل إنه يقلب تاريخها رأسا على عقب، ويكسر كبرياءها، ويغير شخصيتها من النقيض إلى النقيض، فتتحول، تبعا لذلك، من كائن ثقافي له قيمته ووزنه في المجتمع إلى مجرد كائن أنثوي ضعيف لا يستطيع أن يعيش إلا تحت جناح الرجل. إن المفارقة العجيبة هي أن المرأة تعي أن الشاعر يسكنها في عالم من الأوهام، وفي قصور من

الأحلام، لكن رغم ذلك فهي تقنع بأن أكبر غنيمة تجنيها من هذا اللقاء هي فقط هذه الكلمات، لا شيء إلا لأنها ليست كالكلمات، وهذا مظهر من مظاهر السحر في الشعر.

وهناك شاعر آخر معاصر لنزار قباني تحدث عن هذه القوة السحرية في الشعر، والأمر يتعلق بالشاعر الفلسطيني محمود درويش الذي قال في مقدمة ديوانه "عصافير بلا أجنحة": «.. فالشعر من الفن .. أعذب وأنعم أغنية على شفاه الفن .. وأعمق جذر في دوحة الفن .. والفن فوق الحدود .. فوق حدود الزمان والمكان ..! فكيف نستطيع .. نحن الأقزام على مائدته .. أن نحدده ونكبله .. ونطعمه كلمات واصطلاحات .. وهو العملاق الساحر الذي دَوَّرَ الشمس .. وطَرَّرَ حلقات النجوم .. وأسبل مخدته جدائل الأصائل والأسحار ..! ونَقَطَ على حَلَمَةِ كل وردة قارورة ربيع رائع ..! ودَلَّقَ من أباريقه ألف غدير للروعة والسحر ..! وحَمَّلَ كل حرف من كتابه مفتاح خزانة الحب السحرية ..! وهو الذي أشعل فوق كل قيد بركان ثورة ..! وفي قلب كل مظلوم جمرة حقد لا تنطفئ ..!»<sup>(74)</sup>.

إن الواضح من هذا التعريف أن الشعر هو أجمل الفنون وأعرقها، وأكثرها معانقة للمطلق واللا نهائي، وأقربها إلى السحر الذي يلقي بعصاه على الأشياء، فيحولها إلى لوحات مدهشة تشع روعة وجمالا، هذا فضلا عن قدرته العجيبة التي تجعل منه مفتاحا للحب، وقوته الجبارة التي تجعل منه فتيلة للثورة. وبهذه المزايا يرى درويش أن الشعر ليس مجرد فن، وإنما هو مسكن رمزي يحقق فيها الشاعر كينونته ووجوده، وهذا ما عبر عنه في قصيدته المطولة "جدارية" بقوله:

أَنَا مَنْ تَقُولُ لَهُ الْحُرُوفُ الْغَامِضَاتُ:  
أَكْتُبُ تَكُنْ!  
وَ أَقْرَأُ تَجِدْ!<sup>(75)</sup>

إذن فسحر الكلمة مرتبط بغموضها، والكلمة الشعرية سواء كانت مكتوبة أو مقروءة تصبح بيتا للكينونة ووسيلة للوجود. وكما أن الشعر دليل على وجود الشاعر، فإن امتداده في الزمن دليل على خلوده، ولعل هذا ما عبر عنه درويش في مقطع آخر من الجدارية بقوله:

خَضِرَاءُ أَرْضُ قَصِيدَتِي خَضِرَاءُ  
يَحْمِلُهَا الْغِنَائِيُّونَ مِنْ زَمَنِ إِلَى زَمَنِ كَمَا هِيَ فِي  
خُصُوبَتِهَا.  
وَلِي مِنْهَا: تَأْمَلُ نَرْجِسٍ فِي مَاءِ صُورَتِهِ  
وَلِي مِنْهَا: وَضُوحُ الظِّلِّ فِي الْمُرَادِفَاتِ  
وَدَقَّةُ الْمَعْنَى ...  
وَلِي مِنْهَا: "أَنَا" الْآخَرَى<sup>(76)</sup>

القصيدة الخضراء، في هذا المقطع، دليل على الحياة، وانتقالها من زمن إلى زمن بكل خصوبتها دليل على الخلود. وفي غياب الشاعر تبقى القصيدة هي صورته، وظله، وأناه الأخرى. بمعنى آخر: إذا غاب الجسد المادي الذي تمثله ذات الشاعر، فإن الذي ينوب عنه هو الجسد الثقافي الذي تمثله القصيدة.

وبهذا، فالشعر مثله مثل بقية الفنون التي أنتجتها الأمم الغابرة؛ فهذه الفنون بأشكالها المختلفة (المكتوبة، والمرسومة، والمنقوشة، والمنحوتة، والمشيدة...)، كلها هزمت الموت، وخلدت أصحابها في مآثر ما زالت إلى اليوم تتحدى الزمن، وهذا ما عبر عنه الشاعر، في مقطع آخر من جداريته، بقوله:

هَزَمَتْكَ يَا مَوْتُ الْفُنُونُ جَمِيعَهَا.  
هَزَمَتْكَ يَا مَوْتُ الْأَغَانِي فِي بِلَادِ  
الرَّافِدَيْنِ، مَسَلَّةُ الْمِصْرِيِّ، مَقْبَرَةُ الْفَرَاعِنَةِ،  
النُّقُوشُ عَلَى حِجَارَةِ مَعْبِدِ هَزَمَتْكَ  
وَأَنْتَصَرْتَ، وَأَقْلَتْ مِنْ كَمَاثِنِكَ  
الْخُلُودُ...<sup>(77)</sup>

ومن القصائد التي عبر فيها محمود درويش، بشكل صريح، عن القوة السحرية للشعر، قصيدة بعنوان "قافية من أجل المعلقات"، وفيها يقول:

هَذِهِ لُغَتِي وَمُعْجَزَتِي. عَصَا سِحْرِي.  
حَدَائِقُ بَابِلِي وَمَسَلَّتِي، وَهُوِيَّتِي الْأُولَى  
وَمَعْدِنِي الصَّقِيلِ<sup>(78)</sup>

إن الواضح، من هذا المقطع، أن الهوية الشعرية هوية صلبة؛ لأن الشعر معجزة الشاعر، وعصاه السحرية، وأثره الخالد في ذاكرة الزمن، بل هو هويته الأولى، ومعدنه الخالص. وبالعودة إلى ديوانه الأول (عصافير بلا أجنحة)، نجد اهتماما كبيرا، من قبل الشاعر، بالعوالم السحرية للشعر، من ذلك قوله في قصيدة بعنوان "شاعر":

دُنْيَايَ رَفَّ عَلَى الْأَفَاقِ مُنْسَرِحُ  
وَشُرْفَتُهُ فِي جَبِينِ الشَّمْسِ تَنْفَتِحُ!  
لِي السَّمَاءُ .. وَعِنْدِي فِي مَلَاعِبِهَا  
عَرِيشَةُ الشَّعْرِ وَالْأَحْلَامُ .. وَالْمَرْحُ!  
لِي النُّجُومُ، أَضَامِيمًا مُنَمَّقَةً  
بِهَا أَغَارِيدُ عُمْرِي الْبِكْرِ تَنْتَشِحُ  
عُمْرِي طُمُوحٌ إِلَى الْأَبْعَادِ مُنْدَفِعُ  
حُدُودُهُ .. زُرْقَةُ الْأَفَاقِ تَكْتَسِحُ<sup>(79)</sup>

يكشف هذا المقطع، كما هو واضح، عن ملمح من ملامح القوة السحرية للشعر عند محمود درويش، والأمر يتعلق بالشاعر الحالم الذي يسافر بخياله إلى الأفاق البعيدة حيث شرفات السماء العالية التي يطل منها على الكون، فيلامس جبين الشمس، ويداعب أشعة النجوم، ويطارد الأحلام الجميلة، ويتصيد الألحان الساحرة في فضاء مطلق لا تحده حدود.

وتتأكد القوة السحرية للشعر في قصيدة أخرى للشاعر بعنوان "هي وأشعاري"، وفيها يقول:

تَقُولُ لِي أَيَّامُهَا تَعْبُرُ فِي دِفْءِ أَشْعَارِي، وَلَا تَشْعُرُ

أَنْسَيْتُهَا، يَا فَرْحَتِي، عُمْرَهَا، مَا عُمْرُهَا؟ يَا لَيْتَهَا تَذْكُرُ  
الْعُمْرُ فِي عَيْنِي إِغْفَاءٌ وَضَمَّةٌ فِي سَاعِدِي .. تَعْصِرُ  
وَقُبْلَةً .. غَيْبُوبَةً لَا تَعِي عَلَى فَمٍ مُسْتَلِيمٍ .. يُزْهِرُ  
تَنْفِرُطُ الْأَشْعَارُ مِنْ عِقْدِهِ سَكِيرَةً .. يَغْمِسُهَا الْعَنْبَرُ  
تَعْتَرُّ أَشْعَارِي عَلَى ثَغْرِهَا، يَا عَزِيزَتِي، لِي ثَغْرُهَا مِنْبَرٌ<sup>(80)</sup>

إن مركز الجاذبية، في هذا المقطع، هو الشعر؛ هذا الفن الجميل الذي جعل من درويش ساحرا يجرب سحره في قلوب وعقول عاشقاته، فيحركها كيفما يشاء دون أن تمنع أو تحتج. وهنا نتحدث إحدى العاشقات معبرة عن استسلامها لسلطة الشعر التي أفقدتها الوعي بالزمن؛ فأيامها تمر وهي لا تشعر، لدرجة أنها لا تذكر كم مر من سنوات عمرها، بل إنها اكتشفت أن هذا العمر كان مثل إغفاءة قصيرة بين النوم واليقظة. كما أنها لا تتذكر من هذا العمر سوى اللحظات الجميلة التي تختزلها في لقاء الحبيب، وما ينتج عن ذلك من عناق وتقبيل وترديد للأشعار في جو من النشوة والطرب.

ويزداد المفعول السحري للشعر من خلال قدرته العجيبة على العبث بالمشاعر، فينعكس ذلك على سلوكيات المرأة وتصرفاتها، وفي هذا يقول الشاعر:

تَقُولُ لِي شِعْرِي بِهَا عَابَتْ يُفْرِحُهَا .. يُحْزِنُهَا .. يَسْخَرُ  
يُقَرِّبُ الْمَرْأَةَ مِنْ وَجْهِهَا فَيَنْبَغُ الْوَرْدِيُّ .. وَالْأَحْمَرُ  
وَتَرْتَمِي الْخُصَلَاتُ طَائِشَةً وَالْعِطْرُ فِي غَابَاتِهَا .. يُنْتَرُ  
وَتُرْبِكُ الْفُسْتَانَ .. تُرْبِكُهُ يَا وَيْلَهُ .. يَطُولُ أَمْ يَقْصُرُ  
يُفَجِّرُ الشَّهَوَاتِ فِي صَدْرِهَا فَيَرْتَجِي فِي صَدْرِهَا الْمُرْمَرُ<sup>(81)</sup>

يلاحظ في هذا المقطع أن الشاعر يزيد من تكريس هويته بصفته شاعرا معشوقا تستسلم الأنثى العاشقة لنزواته، والوسيلة السحرية في ذلك هي الشعر الذي يقلب مشاعرها بين الفرح والحزن. وفي حال الفرح بلقاء الحبيب، يظهر منها ارتباك في تردها المتكرر على المرأة، وتزينها بأنواع متعددة من المساحيق والأصباغ، دون أن تنسى تسريحة الشعر، ورشة العطر، وتجريب مجموعة من الفساتين حتى تستقر، في النهاية، على أفضلها مناسبة للإطلالة والظهور والإثارة في حضرة الحبيب.

ونصادف، في الديوان نفسه، قصيدة أخرى بعنوان "رسالة أنثوية"، وفيها يكرس الشاعر نفسه، مرة أخرى، بصفته شاعرا ساحرا يلقي بسحره على معشوقاته، حيث يقول:

يَا شَاعِرًا غَنَى لَنَا أَشْعَارَهُ وَتَفَنَّنَا  
فَتَسَلَّقَتْ بِرِشَاقَةٍ وَبِخَفَّةٍ شُرْفَاتِنَا  
فَاعْشَوْشَبَتْ أَسْتَارُهَا .. وَتَبَرَّعَمَتْ أَفَاقُنَا  
وَتَسَابَقَتْ زُمَرُ الْعَصَافِيرِ الطَّلِيْقَةِ نَحْوَنَا  
نَيْسَانُ أَغْرَاهُ النَّشِيدُ .. فَجَاءَ طِفْلاً أَرَعَنَا  
يَعْدُو عَلَى أَفَاقِنَا يَهْوِي وَيَغْزِلُ أَغْصَانَا  
وَبَرَاعِمًا شَفَرَاءَ كَالْحَلَمَاتِ، تَرْضَعُ طَبِينَا<sup>(82)</sup>

يجري الحديث، في هذا المقطع، على لسان مجموعة من العاشقات، وفيه يكتبن رسالة اعتراف إلى الشاعر، تتضمن براعته في نظم الشعر، وقد تجلت هذه البراعة في قدرة هذه الأشعار، بخفتها وعذوبتها، على تسلق الشرفات، وزرع الأعشاب في الستائر، وإغراء الطيور بالجمي، بل إن فصل الربيع نفسه يغريه النشيد فيأتي مثل طفل أرعن، يعدو على الآفاق، ويكسو الأغصان بالأوراق، ويزينها ببراعم الأزهار. ولا يتوقف إطرء العاشقات على الشاعر عند هذا الحد، وإنما يأتي المقطع اللاحق للإشادة بجوانب أخرى من شعره، وفي هذا يقول على لسانهن:

يَا شَاعِرًا غَنَى لَنَا أَشْـعَارُهُ .. وَتَفَنَّنَا  
أَهْدَى لَنَا عِقْدَ النُّجُومِ قَصِيدَةً .. أَهْدَى لَنَا  
وَالْأَفَقَ أَمْطَرَهُ نَدَى عَذْبًا .. وَسَارَ .. وَلَوَّنَا  
أَبْيَانُهُ تَشْكِيلَةً مِنْ كُلِّ لَحْنٍ دَنَدَنَا  
مَجْبُولَةً مِنْ خَشْخَشَاتِ الْفُلِّ فِي بُسْتَانِنَا  
مِنْ رَفْرَفَاتِ حَمَامَةٍ بَيْضَاءَ فَوْقَ سَطُوحِنَا  
مِنْ تَمْتَمَاتِ نُسَيْمَةٍ .. مَرَّتْ عَلَى سَرَوَاتِنَا  
مِنْ هَمْسِ عُشْبَاتٍ غَرِيبَاتٍ عَلَى جُودَانِنَا  
أَبْيَانُهُ حَمَلَتْ لَنَا قَشًّا لَتَبْنِي مَوْطِنَنَا  
عُشًّا مِنَ الْحُبِّ الدَّافِي عَلَى نَوَافِدِ حَيِّنَا  
وَرَمَتْ هُنَاكَ نُجَيْمَاتٍ حَمْرَاءَ مِثْلَ شِفَاهِنَا  
وَزَنَابِقًا خَضْرَاءَ أَوْ زَرْقَاءَ مِثْلَ عُيُونِنَا  
الْعُشُّ أَصْبَحَ خَيْمَةً لِلْحُبِّ تَجْمَعُ شَمْلَنَا! (83)

ففي هذا المقطع، يتم الارتقاء بالشعر عن طريق اللجوء إلى التجسيم، وذلك من خلال تقديمه كمادة قابلة للإدراك الحسي بثلاث حواس: حاسة البصر، وحاسة السمع، وحاسة اللمس. فحاسة البصر تدرك القصيدة بوصفها عقدا من النجوميات الحمراء، أو باقة من زنابق خضراء أو زرقاء. وحاسة السمع تدرك القصيدة كما لو أنها ألحان مدندنة، أو أصوات من خشخشات الفل في البساتين، أو رفرفات حمامة بيضاء فوق السطوح، أو تمتمات النسيم على الجدران، أو همس الأعشاب في الحقول. وحاسة اللمس تدرك القصيدة كما لو أنها قش ناعم في عشب دافئ، أو خيمة للحب تجمع شمل الأحبة في حضن حنون. ولا ينحصر تأثير الشعر على الحواس فقط، وإنما نجد له كذلك سلطة على المشاعر، وهذا ما عبر عنه الشاعر في المقطع الأخير بقوله:

يَا شَاعِرًا غَنَى لَنَا أَشْـعَارُهُ .. فَأَهَاجَنَا  
لَوْلَا أَعَانِيكَ الْمُثِيرَةُ مَا حَسَدْنَا بَعْضُنَا  
وَلَمَّا تَلَقَّتِ الْعُيُونُ إِلَى كُنُوزِ صُدُورِنَا  
.....  
إِنَّا هُنَا فِي الْإِنْتِظَارِ .. تَعَالِ لَوْنٌ عُمْرَنَا

.....

بِقَصِيدَةٍ تَبْقَى تُدْغِدُغُنَا .. وَتَصْنَعُ مَجْدَنَا  
يَا شَاعِرًا غَنَى لَنَا أَشْـعَارَهُ .. وَتَفَنَّنَا  
أَبْيَاتُهُ اتَّخَذَتْ لَهَا أَكْبَادُنَا مُسْتَوَظَّنَا<sup>(84)</sup>

فالمفعول السحري للشعر يتجلى في تهيج المشاعر، وتأجيج نار الغيرة والحسد بين العاشقات، ولفت أنظار العشاق إليهن. ونتيجة لهذا المفعول، فهن يعبرن عن تعطشهن الدائم للشعر، ولهذا يوجهن دعوة إلى الشاعر للإقبال عليهن، ونظم قصيدة أخرى تدغدغ مشاعرهن، وتصنع مجدهن، وتخلد ذكرهن في القلوب قبل العقول. خلاصة:

تلخيصا لما سبق، نستنتج أن علاقة الشعر بالسحر تأكدت، قديما وحديثا، إما تصريحاً أو تلميحاً، وعند أكثر من شاعر، وفي مختلف الأغراض، سواء كانت مدحاً، أو فخراً، أو هجاءً، أو رثاءً، أو غزلاً. وفي كل الأحوال كان الشاعر يثبت أنه يستطيع بتخييلاته إحداث زلزال بالكلمات، فيترتب على ذلك أن يترك أثراً إيجابياً أو سلبياً، تتغير من خلاله النفوس من حالة إلى حالة، كما يتغير من خلاله الواقع من صورة إلى أخرى. ونختتم هذا الموضوع بأرجوزة نظمها ابن رشيق القيرواني تتحدث عن القوة السحرية للشعر، مستحضرة مختلف الحالات التي يمارس فيها هذا الفن مفعوله السحري، وفي هذا يقول:

|                           |                                           |
|---------------------------|-------------------------------------------|
| الشَّعْرُ شَيْءٌ حَسَنٌ   | لَيْسَ بِهِ مِنْ حَرَجٍ                   |
| أَقْلُ مَا فِيهِ ذَهَابٌ  | بُ الْهَمِّ عَنْ نَفْسِ الشَّيْخِ         |
| يُحْكِمُ فِي لَطَافَةٍ    | حَلَّ عُقُودِ الْحُجَجِ                   |
| كَمْ نَظَرَةٍ حَسَنَهَا   | فِي وَجْهِهِ عُنْدِ سَمِجٍ                |
| وَحُرْقَةٍ بَرَدَهَا      | عَنْ قَلْبٍ صَبَّ مِنْضَجٍ                |
| وَرَحْمَةٍ أَوْقَعَهَا    | فِي قَلْبٍ قَاسٍ حَرَجٍ                   |
| وَحَاجَةٍ يَسَّرَهَا      | عِنْدَ غَزَالٍ غَنِجٍ                     |
| وَشَاءٍ مُطَّرِحٍ         | مُغْلَقٍ بَابِ الْفَرَجِ                  |
| قَرَبَهُ لِسَانُهُ        | مِنْ مَلِكٍ مُتَوَجِّجٍ                   |
| فَعَلَّمُوا أَوْلَادَكُمْ | عُقَارَ طِبِّ الْمُهْجِجِ <sup>(85)</sup> |

فابن رشيق، في هذه الأرجوزة، يثني على الشعر من جوانب عديدة، وكلها تؤكد ما يتضمنه هذا الفن من طاقة سحرية، تمارس مفعولاً إيجابياً في ذات الشاعر ومحيطه. فأقل ما يفعله الشعر أنه يطرد الهم عن النفس الكئيبة، ويضفي مسحة من الجمال على الأشياء القبيحة، ويطفئ نار القلوب الملتاعة، ويلين القلوب القاسية، ويسر الأمور الصعبة، ويفتح أبواب الفرج، ويعين على قضاء الحوائج، ويُقَرِّبُ من ذوي الجاه والسلطان. ولهذه المزايا كلها، فالشعر خليف بأن يتعلمه الإنسان ويعلمه.

## الهوامش والإحالات:

- <sup>1</sup> - الراغب الأصفهاني: "المفردات في غريب القرآن"، مادة (سحر). تحقيق وضبط: محمد سيد كيلاني. دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت. (بدون طبعة وبدون تاريخ). ص: 226.
- <sup>2</sup> - ابن منظور: "لسان العرب"، مادة (سحر). تحقيق وضبط: عبد الله علي الكبير، ومحمد أحمد حسب الله، وهاشم محمد الشاذلي. دار المعارف، القاهرة. (بدون طبعة وبدون تاريخ). ص: 1952.
- <sup>3</sup> - القرطبي: "الجامع لأحكام القرآن"، الجزء الثاني. دار الكتب المصرية، القاهرة. الطبعة الأولى، 1934. ص: 38.
- <sup>4</sup> - الرازي: "أحكام السحر والسحرة في القرآن والسنة". دار الكتب المصرية، بيروت. الطبعة الأولى، 1988. ص: 10.
- <sup>5</sup> - ابن منظور: "لسان العرب"، مادة "شعر". (م. س). ص: 2273 (بتصرف).
- <sup>6</sup> - الفيروزآبادي: "القاموس المحيط"، مادة (سحر). تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف: محمد نعيم العرقسوسي. منشورات مؤسسة الرسالة. (بدون طبعة وبدون تاريخ). ص: 416.
- <sup>7</sup> - الزبيدي: "تاج العروس من جواهر القاموس"، الجزء الثاني عشر، مادة "شعر". مطبعة حكومة الكويت. الطبعة الثانية، 1994. ص: 180.
- <sup>8</sup> - المصدر نفسه. ص: 177.
- <sup>9</sup> - الراغب الأصفهاني: "المفردات في غريب القرآن"، مادة "شعر". (م. س). ص: 262.
- <sup>10</sup> - ابن منظور: "لسان العرب"، مادة "شعر". (م. س). ص: 2274.
- <sup>11</sup> - مختار عمر: "معجم اللغة العربية المعاصرة"، المجلد الأول، مادة "شعر". عالم الكتب، القاهرة. الطبعة الأولى، 2008. ص: 1206. 1207.
- <sup>12</sup> - قدامة بن جعفر: "نقد الشعر". تحقيق وتعليق: الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي. منشورات دار الكتب العلمية، بيروت. (بدون طبة وبدون تاريخ). ص: 64.
- <sup>13</sup> - الجاحظ: "كتاب الحيوان". شركة مكتبة ومطبعة البابي الحلبي وأولاده، مصر. الطبعة الثانية، 1965. ص: 131.
- <sup>14</sup> - ابن رشيق: "العمدة في محاسن الشعر، وأدابه". تحقيق: الدكتور محمد قرقزان. منشورات دار المعرفة، بيروت. الطبعة الأولى، 1988. ص: 245.
- <sup>15</sup> - ابن طباطبا: "عيار الشعر". شرح وتحقيق: عباس عبد الساتر. منشورات دار الكتب العلمية، بيروت. الطبعة الثانية، 2005. ص: 9.
- <sup>16</sup> - ابن سينا: "فن الشعر"، من كتاب "الشفاء". ملحق بـ "فن الشعر" لأرسطو. ترجمه عن اليونانية وشرحه وحقق نصوصه: عبد الرحمن بدوي. منشورات مكتبة النهضة المصرية، القاهرة. طبعة 1953. ص: 161.
- <sup>17</sup> - محمود عبد الرحمن عبد المنعم: "معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية"، الجزء الثاني، مادة "سحر". منشورات دار الفضيلة، القاهرة، 1999. ص: 249.
- <sup>18</sup> - الميداني: "مجمع الأمثال"، الجزء الأول. تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد. منشورات دار المعرفة، بيروت. (بدون طبعة وبدون تاريخ). ص: 7.
- <sup>19</sup> - الفيروزآبادي: "القاموس المحيط"، مادة "سحر". (م. س). ص: 405. وهذا ما حدث مع عمرو بن الأهمتم الذي سأله الرسول (ﷺ) عن الزبرقان بن بدر، فقال: "إنه لمانع لحوزته، مطاع في أدبته". قال الزبرقان: إنه يا رسول الله ليعلم مني أكثر ما قال، ولكنه حسدني شرفي، فقصر بي. قال عمرو: "هو والله زمر المروءة، ضيق العطن، لئيم الخال". فنظر النبي (ﷺ) في عينيه، فقال: "يا رسول الله، رضيت فقلت أحسن ما علمت، وغضبت فقلت أقبح ما علمت، وما كذبت في الأولى، ولقد صدقت في الآخرة". فقال

- الرسول (ﷺ): "إن من البيان لسحرا". (الجاحظ: "البيان والتبيين"، الجزء الأول. تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون. مكتبة الخانجي، القاهرة. بدون طبعة وبدون تاريخ. ص: 349).
- <sup>20</sup> - ابن سينا: "فن الشعر"، من كتاب "الشفاء". ملحق بـ "فن الشعر" لأرسطو، (م. س). ص: 161.
- <sup>21</sup> - المصدر نفسه. ص: 151.
- <sup>22</sup> - المصدر نفسه. ص: 163.
- <sup>23</sup> - القرطاجي: "منهاج البلغاء وسراج الأدباء". تحقيق محمد بن الحبيب ابن الخوجة. منشورات دار الغرب الإسلامي، بيروت. الطبعة الثالثة، 1987. ص: 71.
- <sup>24</sup> - المصدر نفسه. ص: 71.
- <sup>25</sup> - المصدر نفسه. ص: 71.
- <sup>26</sup> - المصدر نفسه. ص: 96.
- <sup>27</sup> - المصدر نفسه. ص: 72.
- <sup>28</sup> - ابن الخطيب: "كتاب السحر والشعر". تحقيق: المستشرق الإسباني: ج. م. كونتننته فيرر. مراجعة وتدقيق: محمد سعيد إسبر. بدايات للطباعة والنشر والتوزيع، سوريا. الطبعة الأولى، 2006. ص: 13.
- <sup>29</sup> - الكتبي: "قوات الوفيات"، الجزء الأول. حققه، وضبطه، وعلق عليه: محمد محيي الدين عبد الحميد. منشورات مكتبة النهضة المصرية، القاهرة. (بدون طبعة وبدون تاريخ). ص: 613.
- <sup>30</sup> - التبريزي والبطليلوسي والخوارزمي: "شروح سقط الزند". الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة. الطبعة الثالثة، 1945. ص: 276.
- <sup>31</sup> - ابن رشيق: "العمدة في محاسن الشعر وآدابه"، الجزء الأول. (م. س). ص: 85.
- <sup>32</sup> - المصدر نفسه. ص: 22، 21.
- <sup>33</sup> - أبو نواس: "ديوان أبي نواس". تحقيق وضبط وشرح: أحمد عبد المجيد الغزالي. منشورات مطبعة مصر، القاهرة، 1953. ص: 264.
- <sup>34</sup> - المعري: "سقط الزند". دار بيروت ودار صادر للطباعة والنشر، بيروت، 1957. ص: 79.
- <sup>35</sup> - أبو تمام: "ديوان أبي تمام"، المجلد الأول. تقديم وشرح: الدكتور محيي الدين صبحي. منشورات دار صادر، بيروت. الطبعة الأولى، 1997. ص: 328.
- <sup>36</sup> - المصدر نفسه، المجلد الثاني. ص: 73.
- <sup>37</sup> - معروف الرصافي: "ديوان الرصافي". أتم شرحه وصححه: مصطفى السقا. منشورات دار الفكر العربي، القاهرة. الطبعة الرابعة، 1953. ص: 64.
- <sup>38</sup> - ابن رشيق القيرواني: "العمدة في محاسن الشعر وآدابه"، الجزء الأول (باب احتماء القبائل بشعرائها). (م. س). ص: 153.
- <sup>39</sup> - عمرو بن كلثوم: "ديوان عمرو بن كلثوم". جمعه وحققه وشرحه: الدكتور إميل بديع يعقوب. منشورات دار الكتاب العربي، بيروت. الطبعة الثانية، 1996. ص: 88، 90.
- <sup>40</sup> - زهير بن أبي سلمى: "ديوان زهير بن أبي سلمى". شرحه وقدم له: الأستاذ علي فاعور. منشورات دار الكتب العلمية، بيروت. الطبعة الأولى، 1988. ص: 111.
- <sup>41</sup> - عمرو بن كلثوم: "ديوان عمرو بن كلثوم". (م. س). ص: 91.
- <sup>42</sup> - المصدر نفسه. ص: 91.
- <sup>43</sup> - المصدر نفسه. ص: 78.

- <sup>44</sup> - ابن رشيق: "العمدة في محاسن الشعر وأدابه"، الجزء الأول (باب من رفعه الشعر ومن وضعه). (م. س). ص: 125.
- <sup>45</sup> - المصدر نفسه. ص: 126.
- <sup>46</sup> - الحصري القيرواني: "زهر الآداب وثمر الألباب"، الجزء الثاني. مفصل ومضبوط ومشروح بقلم الدكتور زكي مبارك. حققه وزاد في تفصيله وضبطه وشرحه: محمد محيي الدين عبد الحميد. دار الجيل للنشر والتوزيع والطباعة، بيروت. الطبعة الرابعة (بدون تاريخ). ص: 412.
- <sup>47</sup> - الحطينة: "ديوان الحطينة" برواية وشرح ابن السكيت. دراسة وتبويب: مفيد محمد قميحة. منشورات دار الكتب العلمية، بيروت. الطبعة الأولى، 1993. ص: 11. نقلا عن "الأغاني"، الجزء الثاني. ص: 178.
- <sup>48</sup> - الأعشى: "ديوان الأعشى الكبير". تحقيق وشرح: الدكتور محمد حسين. مكتبة الآداب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة. الطبعة الأولى، 1950. ص: 235.
- <sup>49</sup> - مجنون ليلى: "ديوان مجنون ليلى". جمع وتحقيق وشرح: عبد الستار أحمد فراج. منشورات دار مصر للطباعة، القاهرة، 1979. ص: 227.
- <sup>50</sup> - الفرزدق: "ديوان الفرزدق"، الجزء الثاني. ضبط معانيه وشرحه وأكملها: إيليا الحاوي. منشورات دار الكتاب اللبناني ومكتبة المدرسة، بيروت. الطبعة الأولى، 1983. ص: 323. 324.
- <sup>51</sup> - جرير: "ديوان جرير"، المجلد الثاني. شرح: محمد بن حبيب. تحقيق: نعمان محمد أمين طه. منشورات دار المعارف، القاهرة. الطبعة الثالثة. (بدون تاريخ). ص: 940.
- <sup>52</sup> - يذكر بروكلمان أن الهجاء «كان في يد الشاعر سحرا يقصد به تعطيل قوى الخصم بتأثير سحري. ومن ثم كان الشاعر، إذا تهيأ لإطلاق مثل ذلك اللعن، يلبس زيا خاصا شبيها بزي الكاهن. ومن هنا أيضا تسميته بالشاعر، أي العالم، لا بمعنى أنه كان عالما بخصائص فن أو صناعة معينة، بل بمعنى أنه كان شاعرا بقوة شعره السحرية». (كارل بروكلمان: "تاريخ الأدب العربي"، الجزء الأول. نقله إلى العربية: الدكتور عبد الحليم النجار. منشورات دار المعارف، القاهرة. الطبعة الخامسة، 1959. ص: 46).
- <sup>53</sup> - الراعي النميري: "ديوان الراعي النميري". جمعه وحققه: راينهرت فايبرت. منشورات المعهد الألماني للأبحاث الشرقية، بيروت. طبعة 1980. الطبعة الثانية، 1960. ص: 139.
- <sup>54</sup> - جرير: "ديوان جرير"، المجلد الأول. (م. س). ص: 821.
- <sup>55</sup> - ابن رشيق: "العمدة في محاسن الشعر وأدابه"، الجزء الأول (باب من رفعه الشعر، ومن وضعه). (م. س). ص: 127.
- <sup>56</sup> - المصدر نفسه. ص: 127.
- <sup>57</sup> - الأصمغاني: "كتاب الأغاني"، الجزء الثامن تحقيق: الدكتور إحسان عباس، والدكتور إبراهيم السعافين، والأستاذ بكر عباس. منشورات دار صادر، بيروت. الطبعة الثالثة، 2008. ص: 23. 24.
- <sup>58</sup> - المصدر نفسه، الجزء الرابع والعشرون. (م. س). ص: 115.
- <sup>59</sup> - المصدر نفسه. ص: 114.
- <sup>60</sup> - المصدر نفسه. ص: 114.
- <sup>61</sup> - الجمحي: "طبقات الشعراء"، مع دراسة عن المؤلف والكتاب للأستاذ طه أحمد إبراهيم، وتمهيد للناشر الألماني جوزف هل. منشورات دار الكتب العلمية، بيروت. طبعة 2001. ص: 144.
- <sup>62</sup> - ابن أبي ربيعة: "ديوان عمر بن أبي ربيعة". قدم له ووضع هوامشه وفهارسه: الدكتور فايز محمد. منشورات دار الكتاب العربي، بيروت. الطبعة الثانية، 1996. ص: 106.
- <sup>63</sup> - ابن خلدون: "مقدمة ابن خلدون"، الجزء الأول. حقق نصوصه، وخرج أحاديثه، وعلق عليه: عبد الله محمود الدرويش. منشورات دار يعرب، دمشق. الطبعة الأولى، 2004. ص: 102 (بتصرف).

- <sup>64</sup> - الثعالبي: "يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر"، الجزء الثاني. شرح وتحقيق الدكتور مفيد محمد قميحة. دار الكتب العلمية، بيروت. الطبعة الأولى، 1983. ص: 439. 440.
- <sup>65</sup> - عبد القاهر الجرجاني: "أسرار البلاغة". قرأه وعلق عليه: محمود محمد شاكر. منشورات دار المدني، جدة. طبعة 1991. ص: 284.
- <sup>66</sup> - ابن خلكان: "وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان"، الجزء الخامس. تحقيق: الدكتور إحسان عباس. منشورات دار صادر بيروت، 1977. ص: 121.
- <sup>67</sup> - إيليا أبو ماضي: "الجداول". منشورات دار العلم للملايين، بيروت. الطبعة الثانية، 1960. ص: 178. 179.
- <sup>67</sup> - المصدر نفسه. ص: 180. 181.
- <sup>68</sup> - المصدر نفسه. ص: 182. 183.
- <sup>70</sup> - نزار قباني: "الأعمال الكاملة". فاروس للنشر والتوزيع، القاهرة. دراسة وإعداد: إسلام إبراهيم. طبعة 2012. ص: 71.
- <sup>71</sup> - المصدر نفسه. ص: 71. 72.
- <sup>72</sup> - المصدر نفسه. ص: 72.
- <sup>73</sup> - المصدر نفسه. ص: 72.
- <sup>74</sup> - محمود درويش: "عصافير بلا أجنحة" (مقدمة الديوان). دار العودة، بيروت. الطبعة الأولى، 1960. ص: 6. 7.
- <sup>75</sup> - محمود درويش: "جدارية"، "الأعمال الجديدة الكاملة (1)". رياض الريس للكتب والنشر. الطبعة الأولى، 2009. ص: 457.
- <sup>76</sup> - المصدر نفسه. ص: 473. 474.
- <sup>77</sup> - المصدر نفسه. ص: 486. 487.
- <sup>78</sup> - محمود درويش: "لماذا تركت الحصان وحيداً؟"، "الأعمال الجديدة الكاملة (1)". رياض الريس للكتب والنشر. الطبعة الأولى، 2009. ص: 384.
- <sup>79</sup> - محمود درويش: "عصافير بلا أجنحة". (م. س). ص: 9.
- <sup>80</sup> - المصدر نفسه. ص: 71. 72.
- <sup>81</sup> - المصدر نفسه. ص: 72. 73.
- <sup>82</sup> - المصدر نفسه. ص: 78.
- <sup>83</sup> - المصدر نفسه. ص: 78.
- <sup>84</sup> - المصدر نفسه. ص: 79. 80. (بتصرف).
- <sup>85</sup> - ابن رشيق: "ديوان ابن رشيق القيرواني". جمعه ورتبه: الدكتور عبد الرحمن باغي. نشر وتوزيع دار الثقافة، بيروت، 1989. ص: 50. 51.

## المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم (رواية ورش عن نافع).
- ابن أبي ربيعة (أبو الخطاب عمر بن عبد الله المخزومي): "ديوان عمر بن أبي ربيعة". قدم له ووضع هوامشه وفهارسه: الدكتور فايز محمد. منشورات دار الكتاب العربي، بيروت. الطبعة الثانية، 1996.
- ابن أبي سلمي (زهير بن رباح المزني المضري): "ديوان زهير بن أبي سلمي". شرحه وقدم له: الأستاذ علي فاعور. منشورات دار الكتب العلمية، بيروت. الطبعة الأولى، 1988.
- ابن جعفر: (أبو الفرج قدامة بن زياد البغدادي): "نقد الشعر". تحقيق وتعليق: الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي. منشورات دار الكتب العلمية، بيروت. (بدون طبعة وبدون تاريخ).

- ابن الخطيب (أبو عبد الله لسان الدين محمد بن عبد الله السلماني): "كتاب السحر والشعر". تحقيق: المستشرق الإسباني: ج. م. كوتننته فيرر. مراجعة وتدقيق: محمد سعيد إسبر. بدايات للطباعة والنشر والتوزيع، سوريا. الطبعة الأولى، 2006.
- ابن خلدون (العلامة ولي الدين عبد الرحمن بن محمد): "مقدمة ابن خلدون"، الجزء الأول. حقق نصوصه، وخرج أحاديثه، وعلق عليه: عبد الله محمود الدرويش. منشورات دار يعرب، دمشق. الطبعة الأولى، 2004.
- ابن خلكان (أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر): "وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان"، الجزء الخامس. تحقيق: الدكتور إحسان عباس. منشورات دار صادر بيروت، 1977.
- ابن رشيق (أبو علي الحسن القيرواني): "ديوان ابن رشيق القيرواني". جمعه ورتبه: الدكتور عبد الرحمن باغي. نشر وتوزيع دار الثقافة، بيروت، 1989.
- ابن رشيق (الإمام أبو علي الحسن القيرواني): "العمدة في محاسن الشعر، وأدابه". تحقيق: الدكتور محمد قرقزان. منشورات دار المعرفة، بيروت. الطبعة الأولى، 1988.
- ابن طباطبا (محمد بن أحمد العلوي): "عيار الشعر". شرح وتحقيق: عباس عبد الساتر. منشورات دار الكتب العلمية، بيروت. الطبعة الثانية، 2005.
- ابن كلثوم (عمرو بن مالك بن عتاب): "ديوان عمرو بن كلثوم". جمعه وحققه وشرحه: الدكتور إميل بديع يعقوب. منشورات دار الكتاب العربي، بيروت. الطبعة الثانية، 1996.
- ابن منظور (أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الإفريقي المصري): "لسان العرب". تحقيق وضبط: عبد الله علي الكبير، ومحمد أحمد حسب الله، وهاشم محمد الشاذلي. دار المعارف، القاهرة. (بدون طبعة وبدون تاريخ).
- أبو تمام (حبيب بن أوس الطائي): "ديوان أبي تمام"، المجلد الأول. تقديم وشرح: الدكتور محي الدين صبيحي. منشورات دار صادر، بيروت. الطبعة الأولى، 1997.
- أبو نواس (الحسن بن هانئ): "ديوان أبي نواس". تحقيق وضبط وشرح: أحمد عبد المجيد الغزالي. منشورات مطبعة مصر، القاهرة، 1953.
- أبو ماضي (إيليا): "الجدول". منشورات دار العلم للملايين، بيروت. الطبعة الثانية، 1960.
- أرسطو طاليس: "فن الشعر". ترجمه عن اليونانية وشرحه وحقق نصوصه: عبد الرحمن بدوي. منشورات مكتبة النهضة المصرية، القاهرة. طبعة 1953.
- الأصفهاني (أبو الفرج علي بن الحسين): "كتاب الأغاني"، الجزء الثامن تحقيق: الدكتور إحسان عباس، والدكتور إبراهيم السعافين، وأستاذ بكر عباس. منشورات دار صادر، بيروت. الطبعة الثالثة، 2008.
- الأعشى (أبو بصير ميمون بن قيس بن جندل): "ديوان الأعشى الكبير". تحقيق وشرح: الدكتور محمد حسين. مكتبة الآداب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة. الطبعة الأولى، 1950.
- بروكلمان (كارل): "تاريخ الأدب العربي"، الجزء الأول. نقله إلى العربية: الدكتور عبد الحليم النجار. منشورات دار المعارف، القاهرة. الطبعة الخامسة، 1959.
- التبريزي، والبطلوس، والخوارزمي: "شرح سقط الزند". الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة. الطبعة الثالثة، 1945.
- الثعالبي (أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل): "يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر"، الجزء الثاني. شرح وتحقيق الدكتور مفيد محمد قميحة. دار الكتب العلمية، بيروت. الطبعة الأولى، 1983.
- الجاحظ (أبو عثمان عمرو بن بحر): "البيان والتبيين"، الجزء الأول. تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون. مكتبة الخانجي، القاهرة. (بدون طبعة وبدون تاريخ).

- الجاحظ (أبو عثمان عمرو بن بحر): "كتاب الحيوان". شركة مكتبة ومطبعة البابي الحلبي وأولاده، مصر. الطبعة الثانية، 1965.
- الجرجاني (الشيخ الإمام أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن): "أسرار البلاغة". قرأه وعلق عليه: محمود محمد شاكر. منشورات دار المدني، جدة. طبعة 1991.
- جرير (أبو حزر بن عطية الكلبي اليربوعي التميمي): "ديوان جرير"، المجلد الثاني. شرح: محمد بن حبيب. تحقيق: نعمان محمد أمين طه. منشورات دار المعارف، القاهرة. الطبعة الثالثة. (بدون تاريخ).
- الجمعي (محمد بن سلام): "طبقات الشعراء"، مع دراسة عن المؤلف والكتاب للأستاذ طه أحمد إبراهيم، وتمهيد للناسخ الألماني جوزف هل. منشورات دار الكتب العلمية، بيروت. طبعة 2001.
- الحصري القيرواني (أبو إسحاق إبراهيم بن علي): "زهر الآداب وثمر الألباب"، الجزء الثاني. مفصل ومضبوط ومشروح بقلم الدكتور زكي مبارك. حققه وزاد في تفصيله وضبطه وشرحه: محمد محي الدين عبد الحميد. دار الجيل للنشر والتوزيع والطباعة، بيروت. الطبعة الرابعة (بدون تاريخ).
- الحطينة (أبو مليكة جرول بن أوس بن مالك): "ديوان الحطينة" برواية وشرح ابن السكيت. دراسة وتبويب: مفيد محمد قميحة. منشورات دار الكتب العلمية، بيروت. الطبعة الأولى، 1993.
- درويش (محمود): "جدارية"، الأعمال الجديدة الكاملة (1). رياض الريس للكتب والنشر. الطبعة الأولى، 2009.
- درويش (محمود): "عصافير بلا أجنحة" (مقدمة الديوان). دار العودة، بيروت. الطبعة الأولى، 1960.
- درويش (محمود): "لماذا تركت الحصان وحيداً؟"، الأعمال الجديدة الكاملة (1). رياض الريس للكتب والنشر. الطبعة الأولى، 2009.
- الراعي النميري (عبيد بن حصين بن معاوية بن جندل): "ديوان الراعي النميري". جمعه وحققه: راينهرت فايبر. منشورات المعهد الألماني للأبحاث الشرقية، بيروت. طبعة 1980. الطبعة الثانية، 1960.
- الراغب الأصفهاني (أبو القاسم الحسين بن محمد): "المفردات في غريب القرآن". تحقيق وضبط: محمد سيد كيلاني. دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت. (بدون طبعة وبدون تاريخ).
- الرازي (فخر الدين محمد بن عمر): "أحكام السحر والسحرة في القرآن والسنة". منشورات دار الكتب المصرية، بيروت. الطبعة الأولى، 1988.
- الرصافي (معروف): "ديوان الرصافي". أتم شرحه وصححه: مصطفى السقا. منشورات دار الفكر العربي، القاهرة. الطبعة الرابعة، 1953.
- الزبيدي (محمد بن محمد بن عبد الرزاق المرتضى): "تاج العروس من جواهر القاموس"، الجزء الثاني عشر. مطبعة حكومة الكويت. الطبعة الثانية، 1994.
- عبد المنعم (محمود عبد الرحمن): "معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية"، الجزء الثاني. منشورات دار الفضيحة، القاهرة، 1999.
- عمر (مختار): "معجم اللغة العربية المعاصرة"، المجلد الأول، مادة "شعر". عالم الكتب، القاهرة. الطبعة الأولى، 2008.
- الفرزدق (أبو فراس همام بن غالب): "ديوان الفرزدق"، الجزء الثاني. ضبط معانيه وشروحه وأكملها: إيليا الحاوي. منشورات دار الكتاب اللبناني ومكتبة المدرسة، بيروت. الطبعة الأولى، 1983.
- الفيروزآبادي (مجد الدين محمد بن يعقوب): "القاموس المحيط". تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف: محمد نعيم العرقسوسي. منشورات مؤسسة الرسالة. (بدون طبعة وبدون تاريخ).
- قباني (نزار): "الأعمال الكاملة". فاروس للنشر والتوزيع، القاهرة. دراسة وإعداد: إسلام إبراهيم. طبعة 2012.

- القرطاجي (أبو الحسن حازم بن محمد): "منهاج البلغاء وسراج الأدباء". تحقيق محمد بن الحبيب ابن الخوجة. منشورات دار الغرب الإسلامي، بيروت. الطبعة الثالثة، 1987.
- القرطبي (أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري): "الجامع لأحكام القرآن", الجزء الثاني. دار الكتب المصرية، القاهرة. الطبعة الأولى، 1934.
- الكتبي (محمد بن شاكر بن أحمد): "فوات الوفيات", الجزء الأول. حققه، وضبطه، وعلق عليه: محمد محيي الدين عبد الحميد. منشورات منشورات مكتبة النهضة المصرية، القاهرة. (بدون طبعة وبدون تاريخ).
- مجنون ليلى (قيس بن الملوح): "ديوان مجنون ليلى". جمع وتحقيق وشرح: عبد الستار أحمد فراج. منشورات دار مصر للطباعة، القاهرة، 1979.
- المعري (أبو العلاء أحمد بن عبد الله بن سليمان القضاعي التنوخي): "سقط الزند". دار بيروت ودار صادر للطباعة والنشر، بيروت، 1957.
- الميداني (أبو الفضل أحمد بن محمد بن إبراهيم النيسابوري): "مجمع الأمثال", الجزء الأول. تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد. منشورات دار المعرفة، بيروت. (بدون طبعة وبدون تاريخ).